

الشيخ عبد المحمد كشك

خَيْرَ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ

يَوْمَ الْجُمُعَةِ

عربي

دار البشير  
القاهرة

حقوق الطبع محفوظة للناشر

دار البشير - القاهرة  
للطباعة والنشر والتوزيع

١٤٥ طريق المعادي الزمامي من ب. ١٦٩ للمعادي ٥: ٢١٨٧٣٦٨

## مقدمة الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، إنه من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمداً رسول الله ، جاءنا بكتاب كالشمس في ضحاها ، وبسنة كالقمر إذا تلاها ، فمَن تبعهما عاش في ضوء النهار إذا جلاها ، ومَن أعرض عنهما تخبط في ظلمة الليل إذا بغشاها . صلى الله عليك يا علم الهدى ما هبت النسيم وما ناحت على الأبك الحمام .

أما بعد ..

فقد أقام الله دينه الحنيف على دعائم مستظل ثابته تناطح الجوزاء وتزاحم الشمس في الجلاء ، مهما اختلف الملوان وتعاقب الجديدان ، وتلك الدعائم هي القرآن والسنة والجمعة ورمضان وعرفات والبيت الحرام . ولن يستطيع أحد أن ينال من الإسلام وتلك الرواسي الشامخات والأعلام الشاهقات تمتد إلى عنان السماء .

وهذا الكتاب يحدثنا عن خير يوم طلعت فيه الشمس وهو يوم الجمعة ، حيث يتوجه فيه المسلمون إلى بيوت الله دون أن توزع عليهم تذكرة دعوة أو يعدهم أحد بتوزيع المكافآت ، إنما يتوجهون استجابة لنداء الولد الديان : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ) .

( الجمعة : ٩ )

قال رسول الله ﷺ :

« لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طَهْرٍ ، وَيَدْهِنُ مِنْ دُهْنِهِ أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلَا يَفْرُقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كَتَبَ لَهُ ، ثُمَّ يَتَصَبَّأُ إِذَا تَكَلَّمَ الْإِمَامُ ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى ، .

( أخرجه البخاري في صحيحه عن سلمان الفارسي )

## الفصل الأول

### في رحاب سورة الجمعة

سورة الجمعة سورة مدنية .

عدد آياتها : إحدى عشرة .

وسُميت سورة الجمعة لاشتغالها على أحكام « صلاة الجمعة » التي فرضها الله على المؤمنين .

وقد كان عليه السلام - كما أخرج مسلم وأبو داود والنسائي عن ابن عباس - يقرأ في الجمعة بسورتها و « إذا جاءك المنافقون » .

وأخرج ابن حبان والبيهقي عن جابر بن سمرة أنه قال : كان صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة « قل يا أيها الكافرون » و « قل هو الله أحد » وكان يقرأ في صلاة العشاء الأخيرة ليلة الجمعة سورة الجمعة والمنافقون .  
وق ذلك دلالة على مزيد شرف هذه السورة .

### مقصود السورة إجمالاً

هذه السورة الكريمة ذُكر فيها خير كتاب أنزل ، وخير نبي أرسل ، وخير أمة أخرجت للناس ، وخير يوم طلعت عليه الشمس .

وتناولت السورة الكريمة بعثة خاتم الرسل محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وبيّنت أنه الرحمة المهتدة والنعمة المسداة والسراج المنير ، أنقل الله به الإنسانية من ظلام الشرك والضلال .

وإذا رأيت المسلمين في هذا اليوم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً ، تتألق وجوههم جلالاً وجمالاً وكمالاً ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، تراهم زُكماً منجّداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ، يجلسون في أئب وخلق وخشوع وإنصات إلى خطيب الجمعة : يُشخص الداء ويصف الدواء ويوجه ويُرشد ويُعلم ويُنير الطريق ، فإذا ما قضيت الصلاة انتشروا في الأرض يبتغون من فضل الله .

وهل الإسلام إلا قيادة وعبادة ووفاء وسلام وقضاء وجهاد ، إنه اليوم الخالد يجدد المسلمون فيه الطاقات الروحية ليعيشوا عليها بقية أيام الأسبوع ، تزيدهم الصلوات الخمس نوراً وضياءً وبهاءً : ( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ \* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاجِلُونَ ) (المؤمنون : ١ - ٤)

عبد الحميد كشك

### تفسير المفردات

( الأُمِّيِّينَ ) : العرب للمعاصرين للنبي ﷺ ، سُمُّوا بذلك لاشتغالهم بالأمية وهي عدم القراءة والكتابة .

( يَزْكُمِهِمْ ) : من التزكية وهي التضييق من ذنوب الشرك والمعاصي .

( أسفاراً ) : جمع سفر وهو الكتاب الكبير .

( هادوا ) : تدبثوا باليهودية .

### التفسير

قوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ فِيهَا لِيِ السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقَلُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

يُعبِّرُ تعالى أنه يَسْبِّحُ له ما في السموات وما في الأرض ، أي من جميع المخلوقات ناطقها وجامدتها ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ ( الإسراء : ٤٤ )

وصيغة المضارع ﴿ يُسَبِّحُ ﴾ لإفادة التجدد والاستمرار فهو تسبيح دائم لله الكبير المتعال سُبِّحَ لِيِ مِثْلَ الَّذِينَ حَمِدُوا النَّبِيَّ ﴿ الْمَلِكُ ﴾ أي هو مالك السموات والأرض المتصرف فيها

الْقَلُّوسُ ﴿ وهو سبحانه المقدس أي المنزه عن النقائص لنوصوف لوالجلال . ﴿ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ أي العزيز في ملكه القادر الغالب الحكيم ﴿ في أقواله وأفعاله ، والحكيم هو الذي يضع الأشياء في محله يحترمه عيب أو زلل . ونحن نلاحظ أن العزة وصف قوة وقدرة ، الحكيم وصف قوة مظلنة القسوة ، والحكمة موطن الإنصاف تناسب اقتران وصف « العزيز » بوصف « الحكيم » لتعلم أن عزة مة ، لا جور فيها ولا ظنيان . .

يهود وانحرفهم عن شريعة الله ، حيث كُفِّلُوا بالعمل بسوا ونبذوها وراء ظهورهم ، وضربت مثلاً لهم به الكتب الكبيرة النافعة ولكنه لا يناله منها إلا العناء والتعاسة .

بلاة الجمعة ، فدعت المؤمنين إلى المسارعة لأداء مع وقت الأذان ووقت النداء لها ، وتحدث بالتحذير بجارة واللغو ، كحال المنافقين الذين أَلْهَتْهُمُ أَمْوَالُهُمُ الصَّلَاةَ .

### رَأَيْتُمْ أَزْوَاجَهُمْ

تَمَوَّنَتْ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ  
 لِيِ بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو  
 عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا  
 مِنْ شَائِدِينَ ﴿١﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ  
 ﴿٢﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ  
 عَزِيزٌ ذُنُوبًا ﴿٣﴾ مَتَى الَّذِي حَمَلَهُ الْوَالِدَاتُ وَهَلْ تَدْرِكْنَ

قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَقُولُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَيْسٍ ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ .

أى هو جلّ وعلا يرحمه وحكمته الذى بعث في العرب رسولا من جنسهم ، أميا مثلهم لا يقرأ ولا يكتب . فإن قيل : ما وجه الامتنان بأن بعث نبيا أميا ؟ فالجواب : لينتفى عنه سوء الظن في تعليمه ما دعى عليه من الكتب التى قرأها والحكم التى تلاها .

قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَقْلُونَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخِطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَأَزْنَابٌ مُبْطِلُونَ . بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ لِيُصْدِقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ... ﴾ .  
( المنكوت : ٤٨ ، ٤٩ )

وقوله : ﴿ يَقُولُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ﴾ مع كونه أميا مثلهم . لم يتخذ منه قراءة ولا تعلم يتلو عليهم القرآن الكريم . ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ أى يخلصهم على ما يصرون به أزكيا طاهرين من خبائث العقائد والأعمال . ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ ﴾ يعنى القرآن . ﴿ وَالْحِكْمَةَ ﴾ قال الحسن : الحكمة : السنة . ﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَيْسٍ ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة افتقارهم إلى من يرشدهم .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : « وذلك أن العرب كانوا قديما متمسكين بدين إبراهيم الخليل عليه السلام فدلوه وغشوه وقلوبه وخالفوه ، واستدلوا بالتوحيد شركا وباليقين شكاً ، وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله . وكذلك أهل الكتاب قد بدلوا كتبهم وحرفوها وغيروها وأولوها ، فبعث الله محمدا صلوات الله وسلامه عليه بشرع عظيم كامل شامل لجميع الخلق ، فيه هدايتهم والبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعادهم ، والدعوة لهم إلى ما يقربهم إلى الجنة ورضا الله عنهم ، والنهي عما يقربهم إلى النار وسخط الله تعالى ، حاكم فاصل لجميع الشبهات والشكوك والريب في الأصول والفروع .

وجمع له تعالى - وله الحمد والمنة - جميع المحاسن من كان قبله ، وأعطاه

ما لم يُعْطِ أَحَدٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ، ولا يعطيه أحداً من الآخرين ، فصلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين ، (١) .

سدى أب القاسم :

أَنْتَ الَّذِي قَادَ الْغِيُوشَ مُحْطَمًا      عَهْدَ الضَّلَالِ وَأُدْبَ السُّفَهَاءِ  
وَسَمَوْتَ بِالْبَشَرِ الَّذِينَ تَعَلَّمُوا      سُنْنَ الشَّرِيعَةِ فَارْتَقَوْا سَعْدَاءَ  
سَعِدْتَ بِصَعِيدِ السَّمَوَاتِ الْعُلَى      وَالْأَرْضِ صَارَتْ جَنَّةَ خَضْرَاءِ

• • •

قوله تعالى : ﴿ وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لُمَّا يُلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

أى : وبعث الرسول ﷺ إلى قوم آخرين ، لم يكونوا في زمانهم وسيجئون بعدهم ، وهم جميع من أسلم إلى يوم القيامة ، لأن رسالته ﷺ عامة للعرب ولغيرهم إلى يوم الدين .

أخرج البخارى في صحيحه عن أنى هريرة رضى الله عنه قال : « كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نزلت عليه سورة الجمعة » فلما قرأ : ﴿ وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لُمَّا يُلْحَقُوا بِهِمْ ... ﴾ قال رجل : من هؤلاء يا رسول الله ؟ فلم يراجعه النبي ﷺ ، حتى سأله مرة أو مرتين أو ثلاثاً . قال : « وقينا سلمان الفارسى . قال : فوضع النبي ﷺ يده على سلمان ثم قال : لو كان الإيمان عند الثريا لأتاه رجال من هؤلاء . » ( والرياء : نجم معروف ) .

وقد أخرج مسلم الحديث مجرداً عن السبب عن أنى هريرة رفعه : « لو كان الدين عند لريا لذهب رجال من أبناء فارس حتى يتناولوه . »

وقال ﷺ : « لَيَلْتَنَّ هَذَا الْأَمْرَ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله في هذا الدين ، يعز عزير أو بذل ذليل ، عزاً يعز الله به دين الإسلام ، وذلاً يذل به الكفر » رواه الجماعة .

• • •

(١) تفسير ابن كثير ( ٤ / ٣٦٣ ) .

قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .  
﴿ ذَلِكَ ﴾ إشارة إلى ما تقدم من كونه عليه الصلاة والسلام رسولاً في  
الأميين ومن بعدهم معلماً ومزكياً ، وما فيه من معنى البعد للتعظيم ، أى ذلك  
الفضل العظيم ﴿ فَضْلُ اللَّهِ ﴾ وإحسانه جل جلاله ﴿ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ من  
عباده تفضلاً ﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ  
يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ  
الظَّالِمِينَ ﴾ .

ضرب مثلاً لليهود لما تركوا العمل بالتوراة ولم يؤمنوا بمحمد ﷺ ﴿ حُمِّلُوا  
التَّوْرَةَ ﴾ أى كلفوا العمل بها ﴿ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ﴾ أى لم يعملوا بها ﴿ كَمَثَلِ  
الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ شبههم والتوراة في أيديهم وهم لا يعملون بها بالحمار  
يحمل كتباً ، وليس له إلا ثقل الحمل من غير فائدة .

قال ابن القيم رحمه الله في (إعلام الموقعين) : « فهذا المثل وإن كان قد ضرب  
لليهود فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به ولم يؤدِّ حقه  
ولم يرعَ حق رعايته » .

وقال القرطبي : « وفي هذا تنبيه من الله تعالى لمن حُمِّلَ الكتاب أن يتعلم  
معانيه ويعمل بما فيه لئلا يلقاه من الذم ما لحق هؤلاء » .

« ووجه ارتباط الآية بما قبلها تضمنها الإشارة إلى أن ذلك الرسول المبعوث قد  
بعثه الله تعالى بما نعت به في التوراة وعلى ألسنة أنبياء بني إسرائيل ، كأنه قيل : هو  
الذي بعث المبشر به في التوراة المبعوث فيها النبي الأُمِّي المبعوث إلى أمة أميين ،  
مثل من جاءه نعت فيها وعلمته لم يؤمن به مثل الحمار » (١) .

﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ الظالمين لأنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد  
بسبب تكذيبهم بآيات الله ، والتي من جملتها الآيات الناطقة بنبوَّة محمد رسول الله ﷺ .

(١) روح المعاني ، للألويسي .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَلَيْسَ لَكُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهُ مِنْ دُونِ  
النَّاسِ فَتَحْتُمُوا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ . وَلَا يَحْتُمُونَكَ أَبَدًا بِمَا قَدِمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ  
عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ .

لما أذعت اليهود الفضيلة وقالوا ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ (النساء : ١٨) .  
﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾ (البقرة : ١١١) ، أمر الله  
رسوله أن يقول لهم ذلك إظهاراً لكذبهم : ﴿ إِن زَعَمْتُمْ أَلَيْسَ لَكُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهُ مِنْ دُونِ  
النَّاسِ فَتَحْتُمُوا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أى إن كنتم صادقين في دعواكم ضمنوا  
الموت لتصيروا إلى ما يصير إليه أولياء الله ، فلأولياء عند الله الكرامة .

﴿ وَلَا يَحْتُمُونَكَ أَبَدًا بِمَا قَدِمْتُمْ أَيْدِيهِمْ ﴾ إخبار بما لهم المستقبلية وهو عدم  
تتميم الموت . وفي الحديث : « والذي نفسى بيده ، لو تمنوا الموت ما بنى على  
ظهرها يردى إلا مات » . فلم يتمنه أحد منهم ، وما ذلك إلا لأنهم كانوا موقنين  
بصدقته ﷺ ، فعملوا أنهم لو تمنوا ماتوا من ساعتهم ولحقهم الوعيد ، وهذه  
إحدى معجزاته ﷺ .

وقوله : ﴿ بِمَا قَدِمْتُمْ أَيْدِيهِمْ ﴾ أى بأبون القمى بسبب ما قدمت أيديهم من  
الآثام والمعاصي والشرك بالله . ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ أى عالم بهم وما صدر  
عنهم من فنون الظلم والمعاصي .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى  
عَالِمِ الْعِقَابِ وَالشَّهَادَةِ قِبَتِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

أى قل لهم يا محمد : إن هذا الموت الذى تهربون منه وتخافون أن تصنوه حتى  
يلسانكم ﴿ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ﴾ أى فإنه آتاكم لا محالة لا ينفعكم الفرار منه ﴿ ثُمَّ  
تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْعِقَابِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ أى ثم ترجعون إلى الله الذى لا تخفى عليه  
خافية ﴿ قِبَتِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أى فيجازيكم على أعمالكم . وفي الآية  
تهديد ووعد .

## خير يوم طلعت عليه الشمس

قال تعالى :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَوَدَّى لَصَلْوَةً مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣﴾

أخرج سعيد بن منصور وابن مردويه عن أبي هريرة قال : قلت : يا نبي الله ، لأي شيء سُمِّي يوم الجمعة ؟ فقال : لأن فيها جمعت طينة أيكم آدم عليه السلام ... الحديث .

وأخرج ابن أبي حاتم عن سلمان قال : قال أبو القاسم عليه السلام : يا سلمان ، ما يوم الجمعة ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، فقال رسول الله عليه السلام : يوم الجمعة جُمِعَ فيه أبوكم .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح : ذكره ابن أبي حاتم موقوفاً بإسناد قوى ... وهذا أصح الأقوال ... وقيل : سُمِّي بذلك لاجتماع الناس للصلاة فيه .

وثبت أن الأمم قبلنا أمروا به فضلوا عنه ، واختار اليهود يوم السبت الذي لم يقع فيه تخلُّق آدم ، واختار النصارى يوم الأحد الذي ابتدئ فيه الخلق ،

كما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، يتبدأ بهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، ثم إن هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له ، فالناس لنا فيه تبع ، اليهود غداً ، والنصارى بعد غدٍ .

قال ابن حجر في الفتح : « في قوله صلى الله عليه وسلم » نحن الآخرون السابقون يوم القيامة « أى الآخرون زماناً الأولون منزلة . والمراد أن هذه الأمة وإن تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية فهي سابقة لها في الآخرة بأنهم أول من يُعشَّر ، وأول من يُحاسَب ، وأول من يُقضى بينهم ، وأول من يدخل الجنة .

وقوله : « يتبدأ بهم أوتوا الكتاب من قبلنا ... » معناه أننا سبقنا بالفضل إذ هدينا للجمعة مع تأخرنا في الزمان ، بسبب أنهم ضلوا عنها مع تقدمهم .

وقوله : « ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه » المراد باليوم يوم الجمعة ، والمراد بفرضه فرض تعظيمه ، ولكنهم اختلفوا فيه .

روى الطبراني بإسناد صحيح عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ لِمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ قال : « أرادوا الجمعة فأخطأوا وأخذوا السبت مكانه »

قال الحافظ : « ويحتمل أن يُراد بالاختلاف اختلاف اليهود والنصارى في ذلك »

وقوله صلى الله عليه وسلم « فهدانا الله له » يحتمل أن يُراد بأن نُصِّر لنا عليه ، وأن يُراد الهداية إليه بالاجتهاد . ويشهد لثنائي ما رواه عبد الرزاق بإسناد صحيح عن محمد ابن سيرين قال : « اجتمع أهل المدينة قبل أن يُقدِّمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل أن تنزل الجمعة ، فقالت الأنصار : إن لليهود يوماً يجتمعون فيه كل سبعة أيام ، وللنصارى كذلك ، فهلهم فلنجعل يوماً نجتمع فيه فنذكر الله تعالى ونصلي ونشكره ، فجعلوه يوم العروبة وهو يوم الجمعة ، واجتمعوا إلى أسعد بن زرارة فصلَّى بهم يومئذ ، وأنزل الله تعالى بعد ذلك : ﴿ إِذَا تَوَدَّى لَصَلَاةٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ... ﴾ الآية .

قال الحافظ : « وهذا الحديث وإن كان مرسلأً فله شاهد بإسناد حسن أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه وصححه ابن خزيمة وغير واحد من حديث كعب

ابن مالك قال : « كان أول من صلى بنا الجمعة قبل تقديم رسول الله ﷺ المدينة أسعد بن زرارة ... » الحديث .

« فمرسل ابن سيرين يدل على أن أولئك الصحابة اختاروا يوم الجمعة بالاجتهاد ، ولا يمنع ذلك أن يكون النبي ﷺ عَلِمَهُ بالوحى وهو بمكة فلم يتمكن من إقامتها ، ولذلك جمع بهم أول ما قدم المدينة ﷺ كما حكاه ابن إسحق وغيره . وعلى هذا فقد حصلت الهداية للجمعة بجهتي البيان والتوفيق .

وقيل : الحكمة في اختيارهم الجمعة وقوع خلق آدم فيه ، والإنسان إنما خلق للعبادة فناسب أن يشتغل بالعبادة فيه ، ولأن الله تعالى أكمل فيه الموجودات وأوجد فيه الإنسان الذى يتفجع بها فناسب أن يشكر على ذلك بالعبادة فيه .

وقد أمر الله تعالى المؤمنين بالاجتماع لعبادته يوم الجمعة فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

قال القاسمي في (محاسن التأويل) :

« قال الرازى : وجه تعلق آية الجمعة بما قبلها هو أن الذين هادوا يفرّون من الموت لتناع الدنيا وطيباتها ، والذين آمنوا يبيعون ويشترون لتناع الدنيا وطيباتها كذلك ، فتبهم الله بقوله ﴿ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ أى إلى ما ينفعكم في الآخرة وهو حضور الجمعة ، لأن الدنيا ومتاعها فانية ، والآخرة وما فيها باقية .

ووجه آخر في التعلق : قال بعض العلماء : قد أبطل الله قول اليهود في ثلاث : افنخروا بأنهم أولياء الله وأحباؤه فكذبهم بقوله ﴿ فَتَمَتُّوا الْمَوْتَ ﴾ ، وبأنهم أهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم ، فتبهم بالخمير يحمل أسفاراً ، وبالسبت وليس للمسلمين مثله ، فشرع الله للمسلمين الجمعة . اهـ .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ .

أى يا معشر المؤمنين المصطفين بالله ورسوله إذا سمعتم المؤذن ينادى لصلاة

الجمعة ويؤذن لها ﴿ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ أى فامضوا إلى سماع الخطبة وأداء الصلاة واركعوا البيع والشراء ، اتركوا التجارة الخاسرة واسعوا إلى التجارة الرابحة .

قال المفسرون : والسعى في الآية بمعنى المشى لا بمعنى الجرى ، لحديث : « إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون وأتوها وأنتم تسعون ، وعليكم السكينة » . قال الحسن : « والله ما هو بالسعى على الأقدام ، ولكنه سعى بالقلوب وسعى بالنية وسعى بالرغبة ، ولقد نُهِيَ أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار » . وقال قتادة : « السعى أن تسعى بقلبك وعملك » .

وقوله تعالى ﴿ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ قال القرطبي : « منع الله عز وجل منه عند صلاة الجمعة وخبره في وقتها على من كان مخاطباً بفرضها . والبيع لا يخلو عن شراء فاكفى بذكر أحدهما . وخص البيع لأنه أكثر ما يشتغل به أصحاب الأسواق . ومن لا يجب عليه حضور الجمعة فلا يتهى عن البيع والشراء » .

قوله تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أى ذلك السعى إلى مرضاة الله وترك البيع والشراء خير لكم وأنفع من تجارة الدنيا ، فإن الآخرة هي دار القرار ، قال تعالى : ﴿ فِي ثُبُوتِ إِذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِاللِّغْوِ وَالْإِصْحَالِ . رَجَالٌ لَا لُتْهِمِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ . لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ . (البور : ٣٦ - ٣٨)

قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

هذا أمر إباحة ، يقول تعالى : إذا فرغتم من الصلاة فانتشروا في الأرض للتجارة والصرف في حوائجكم ﴿ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ أى من رزقه .



وكان عيراك بن مالك إذا صلى الجمعة اتصرف فوقف على باب المسجد فقال : « اللهم إني أجيئُ دعوتك ، وصليئتُ فريضتك ، وانتشرتُ كما أمرتني ، فارزقتني من فضلك وأنت خير الرازقين » .

قوله تعالى : ﴿ واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾ أي بالطاعة واللسان ، وبالشكر على ما به أنعم عليكم من التوفيق لأداء الفرائض ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ أي كي تفلحوا وتفوزوا بسعادة الدارين .

قال سعيد بن جبير : « الذكر طاعة الله تعالى ، فمن أطاع الله فقد ذكره ، ومن لم يُطِعه فليس يذكره وإن كان كثير التسبيح » .

قال الشيخ الصابوني : « وفي قوله تعالى ﴿ واذكروا الله كثيراً ﴾ نطفة ، وهي أن الله عز وجل أمر بالسعي في طلب الرزق والاشتغال بالتجارة ، ولما كان هذا قد يسوق الإنسان إلى الغفلة ، وربما دفعته الرغبة في جمع المال إلى الكذب والغش والاحتيال ، أمر المسلم أن يذكر الله تعالى ، ليعلم أن الدنيا ومتاعها فانية ، وأن الآخرة وما فيها باقية ، وأن ما عند الله خير وأبقى ، فلا تشغله تجارة الدنيا عن تجارة الآخرة ، كما قال تعالى في وصف المؤمنين : ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾ (سور : ٣٧) وهذا هو السر في الأمر بذكر الله كثيراً ، فتدبره » .

قوله تعالى : ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين ﴾ .

أخرج مسلم عن جابر بن عبد الله « أن النبي ﷺ كان يحطب قائماً يوم الجمعة ، فجاءت عير من الشام فانفلت الناس إليها حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلاً ، فأنزلت هذه الآية التي في الجمعة : ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً ... ﴾ الآية » .

هذا وقد ذكر أبو داود في مراسيله السبب الذي ترخصوا لأنفسهم في ترك سماع الخطبة فقال : عن مقاتل بن حيان قال : « كان رسول الله ﷺ يصلي الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين ، حتى كان يوم الجمعة والنبي ﷺ يحطب وقد صلى الجمعة ، فدخل رجل فقال : إن دخية بن خليفة الكنسي قديم بتجارة ، وقد كان دخية إذا ندم تلقاه أهله بالدفاف ، فخرج الناس فلم يظنوا إلا أنه ليس في ترك الخطبة شيء ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها ﴾ فقدم النبي ﷺ الخطبة يوم الجمعة وأخر الصلاة » .

قال السهيلي : « وهذا الخير وإن لم يُنقل من وجه ثابت فالظن الجميل بأصحاب النبي ﷺ يُوجب أن يكون صحيحاً » .

قال العلامة الألويسي في تفسيره (روح المعاني) : « وكان قد أصاب أهل المدينة جوعٌ وغلاءٌ سمر فحاف أولئك المنفضون اشتداد الأمر عليهم بشراء غيرهم ما يُقتات به لو لم ينفضوا ، ولذا لم يتوعددهم الله تعالى على ذلك بالنار أو نحوها ، بل فصارى ما فعل سبحانه أنه عاتبهم ووعظهم ونصحهم ، لأنه سبحانه كما قال في كتابه : ﴿ وكان بالمؤمنين رجيماً ﴾ (الأحراب : ٤٣) » .

قوله تعالى : ﴿ قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين ﴾ .

أي قل لهم يا محمد : إن ما عند الله من الثواب والنعيم المقيم خير مما أصبتموه من اللهو والتجارة ﴿ والله خير الرازقين ﴾ فإليه سبحانه اسعوا ، ومنه عز وجل اطلبوا الرزق ، كما قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزقٍ وما أريد أن يُطعّمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ (الذريات : ٥٦ - ٥٨) .

والرزاق اسم من أسماء الله الحسنى ، وهو مشتق من مادة الرزق .  
والرزق رزقان : رزق الأجسام بالأطعمة ونحوها ، ورزق الأرواح بالعلوم والمعارف والإلهامات الصادقة ، وهو أشرف الرزقين ، لأن ثمرته باقية ، ورزق الأبدان إلى مدة قريبة الأمد .

والرزاق هو خالق الأرزاق ، المتفضل بإيصالها إلى خلقه ، المسبب لها الأسباب ، وهو وحده سبحانه مالك الرزق ، ومن علم ذلك أيقن أن رزقه ليس في يد أحد غير الله سبحانه .

فليطمئن المؤمن نفسه وَلْيَقُلْ لها دائماً :

لا تمجلنّ فليس الرزق بالعبثي الرزق في اللوح مكتوب مع الأجل  
فلو صبرنا لكان الرزق يطلبنا لكنه خلق الإنسان من عبثي

قال عليه السلام : « إن روح القدس نقت في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، ولا يحملكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله ، فإن ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته . »

أخرجه الحاكم وصححه

وينبغي للعبد أن يعرف حقيقة وصف الرزاق ، وأنه لا يستحقه إلا الله تعالى ، فلا ينتظر الرزق إلا منه ، ولا يتوكل فيه إلا عليه .

قيل لأعرابي : من أين تأكل ؟ فقال : الذي خلق الرّوحى بأنيتها بالطحين ، والذي شدق الأشداق هو خالق الأرزاق .

وقيل لحاتم الأصم : من أين تأكل ؟ فقال : من عند الله . فقيل له : الله ينزل لك دنائير ودراهم من السماء ؟ فقال : كأن ما له إلا السماء يا هذا ، الأرض له والسماء له ، فإن لم يؤتني رزق من السماء ساقه لي من الأرض . وأنشد :

وكيف أخاف الفقرَ والله رازقي ورازق هذا الخلق في العسر واليسر  
تكفل بالأرزاق للخلق كلهم وللضب في البيداء والحوت في البحر

والله سبحانه إذا أراد بعبد خيراً رزقه علماً نافعاً ، ولساناً ذاكراً ، وبدأ منفعة متصدقة ، ويكون سبباً لوصول الأرزاق الشريفة إلى القلوب بأقواله وأعماله ، وإذا أحب الله تعالى عبداً أكثر حوائج الخلق إليه .

اللهم إنا نسألك علماً نافعاً ، ورزقاً طيباً ، وعملاً متقبلاً .

• • • • •

## الفصل الثاني

### فضل يوم الجمعة وصلاة الجمعة

#### فضل يوم الجمعة

يوم الجمعة أفضل الأيام وأشرفها .

١ - فقد روى مسلم في صحيحه عن أنى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله عليه السلام : « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة . »

٢ - ورواه ابن خزيمة في صحيحه ، ولفظه قال : قال رسول الله عليه السلام : « ما طلعت الشمس ولا غربت على يوم خير من يوم الجمعة ، هدانا الله له وضل الناس عنه ، فالتاس لنا فيه تبع فهو لنا ، واليهود يوم السبت ، والنصارى يوم الأحد ، إن فيه ساعة لا يوافقها مؤمن يصلى يسأل الله شيئاً إلا أعطاه . »

٣ - وعن أنى لبابة بن عبد المنذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله عليه السلام : « إن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله ، وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى ويوم الفطر ، وفيه خمس خصال : خلق الله فيه آدم ، وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض ، وفيه توفى الله آدم ، وفيه ساعة لا يسأل الله فيها العبد شيئاً إلا أعطاه إياه ما لم يسأل حراماً ، وفيه تقوم الساعة ، ما بين مئلتك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا بحر إلا وهن يُشفقن من يوم الجمعة . »

رواه أحمد وابن ماجه بلفظ واحد ، وفي إسنادهما عبد الله بن محمد بن عقيل وهو ممن احتج به أحمد وغيره ، وبقيّة رواته ثقات مشهورون . حكاه المنذرى .



وأبوابها ، مطردة فيها أنهارها متدللة ، فيها ثمارها ، فيها أزواجها وخدمها ، فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا من كرامته عز وجل ويزدادوا نظراً إلى وجهه ، فلذلك دُعِيَ يوم المريد .

قال الذهبي في كتابه (العلو) : « هذا حديث مشهور وافر الطريق أخرجه الإمام عبد الله بن أحمد في كتاب السنة له ، وأخرجه الإمام محمد بن إدريس الشافعي في مسنده ، وقد أخرجه الدارقطني عن طريق حمزة بن واصل المنقري عن قتادة عن أنس . »

٥ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال : « فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه ، وأشار بيده يقللها » رواه البخاري ومسلم والنسائي .  
ومعنى يقللها : يُزهدها ، بعض يرمز إلى قصرها وعدم كثرتها .

٦ - وعن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال لي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : سمعت أباك يحدث عن رسول الله ﷺ في شأن ساعة الجمعة ؟ قال : قلت : نعم سمعته يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة ، رواه مسلم .

وإلى هذا القول ذهب جماعة من أهل العلم : ابن العربي والقرطبي والبيهقي والنووي . قال المحب الطبري : أصح الأحاديث في تعيين الساعة حديث أبي موسى ، وقد صرح مسلم بمثل ذلك .

٧ - وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : قلت لرسول الله ﷺ جالس : إنا لنجد في كتاب الله تعالى : في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يصلي يسأل الله فيها شيئاً إلا قضى الله حاجته . قال عبد الله : فأشار إلي رسول الله ﷺ : أو بعض ساعة . فقلت : صدقت ، أو بعض ساعة . قلت : أي ساعة هي ؟ قال : آخر ساعات النهار . قلت : إنها ليست ساعة صلاة ؟ قال : بلى إن العبد إذا صلى ، ثم جلس لم يجلسه إلا الصلاة فهو في صلاة .

رواه ابن ماجه وإسناده على شرط الصحيح . أفاده المنذري

٨ - وعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة ، فيها ساعة لا يوجد عبد مسلم يسأل الله عز وجل شيئاً إلا آتاه إياه ، فالتسوية آخر ساعة بعد العصر » رواه أبو داود والنسائي واللفظ له .

ورأى بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم أن الساعة التي تُرجى فيها بعد العصر إلى أن تغرب الشمس ، وبه يقول أحمد وإسحق . وقال أحمد : أكثر الحديث في الساعة التي تُرجى فيها إجابة الدعوة أنها بعد العصر . قال : وتُرجى بعد الزوال .

قال الشوكاني في ( نيل الأوطار ) :

« ولا شك أن الأحاديث الواردة في كونها بعد العصر أرجح لكثرتها واتصالها بالسماع ، وأنه لم يُختلف في رفعها ، والاعتضاد بكونه قول أكثر الصحابة ففيها أربعة مرجحات . وفي حديث أبي موسى مرجح واحد وهو كونه في أحد الصحيحين دون بقية الأحاديث ... »

وسلك صاحب الهدى مسلماً آخر واختار أن ساعة الإجابة منحصرة في أحد الوقتين المذكورين ، وأن أحدهما لا يعارض الآخر لاحتمال أن يكون ﷺ ذل على أحدهما في وقت وعين الآخر في وقت آخر . وهذا كقول ابن عبد البر : ينهى الاجتهاد في الدعاء في الواجبين المذكورين ، وسبق إلى تجويز ذلك لإمام أحمد . قال ابن المنير : إذا علم أن فائدة الإجماع لهذه الساعة ولليلة القدر نعت الدعوى على الإكثار من الصلاة والدعاء ، ولو وقع البيان لها لا تكمل الناس على ذلك وتركوا ما عداها ، فالعجب بعد ذلك ممن يتكلم في طلب تحديدها .

وقال في موضع آخر : يعنى جمع الأقوال فتكون ساعة الإجابة واحدة منها لا بعينها فيصادفها من اجتهاد في جميعها (١) .

### فضل صلاة الجمعة

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من توضأ

(١) نيل الأوطار ( ٣ / ٢٤٣ ) .

فأحسن الوضوء ، ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت ، غُفِرَ له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام ، ومَنْ مَسَّ الحِصَا فقد لَغَا .

رواه مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه

### شرح مفردات الحديث

قوله ﷺ « فأحسن الوضوء » إحسان الوضوء : غسل الأعضاء ثلاثاً ثلاثاً ، وتقديم الميامن ، والإتيان بسُنَنِ المشهورة من التسمية في أوله والترتيب والمواولة ونحو ذلك .

وقوله « ثم أتى الجمعة » يعنى : خرج من بيته عامداً إلى المسجد لصلاة الجمعة .

وقوله : « فاستمع » أى للخطبة ، ومعنى استمع أصغى وقصد للسمع .

وقوله « وأنصت » أى سكت ولم يتكلم أثناء الخطبة .

وقوله « غُفِرَ له ما بينه وبين الجمعة الأخرى ، وزيادة ثلاثة أيام » وذلك لأن الحسنة بعشر أمثالها .

وقوله « ومَنْ مَسَّ الحِصَا فقد لَغَا » اللغو في اللغة : الباطل ، فمعنى قوله « فقد لغا » أى جاء بالباطل وما ليس بحق . قال النضر بن سمييل : معنى « فقد لغا » أى حاب من الأجر .

٢ - وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، مكفّرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر » رواه مسلم .

### شرح مفردات الحديث

قوله ﷺ « مكفّرات ما بينهن » هذا خبر عن المعطوفات الثلاث ، يعنى أن كلاً منها مكفّر لِمَا يقع بينه وبين الذى يليه ، فكل صلاتين من الصلوات الخمس

مكفّرتان لِمَا يقع بينهما من الذنوب الصغيرة ، وكذلك كل جمعيتين تُؤدبان على وجه مقبول يُكفّر الله بهما ما يقع من الصغائر بينهما ، وكذلك مَنْ صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما يقع منه إلى رمضان الذى يبعده ، وهكذا . فتأمل سعة مغفرة الله عز وجل ، حيث جعل هذه العبادات نافية لِمَا يقع بينهما من الذنوب فضلاً منه ورحمة .

وقوله ﷺ « إذا اجتنب الكبائر » وذلك لأن الكبائر لا تكفّرهما إلا التوبة النصوح بشروطها المعروفة .

٣ - وأخرج البخارى في صحيحه عن سلمان الفارسى قال : قال النبى ﷺ : « لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهّر ما استطاع من طهّره ويدهن من دهنه أو يمسّ من طيب بيته ، ثم يخرج فلا يفرّق بين اثنين ، ثم يصلى ما كتب له ، ثم ينصت إذا تكلم الإمام ، إلا غُفِرَ له ما بينه وبين الجمعة الأخرى » .

### شرح مفردات الحديث

قال ابن حجر في الفتح :

« قوله ﷺ « ويتطهّر ما استطاع من الطهّره » المراد به المبالغة في التنظيف ، ويُؤخذ من عطفه على الغسل أن إفاضة الماء تكفى في حصول الغسل ، أو مراد به التنظيف بأخذ الشارب والظفر والعانة .

قوله « ويدهن » : المراد به إزالة شَعَبِ الشعر به ، وفيه إشارة إلى استحباب التزيّن يوم الجمعة .

قوله « أو يمسّ من طيب بيته » : أى إن لم يجد دهنًا ، ويحتمل أن يكون « أو » بمعنى الواو ، وإضافته إلى البيت تُؤدّن بأن السنة أن يتخذ المرء لنفسه طيباً ويجعل استعماله له عادة فيُدخره في البيت ... وفي رواية أبى داود من الزيادة : « ويلبس من صالح ثيابه » فيه استحباب لبس أحسن الثياب يوم الجمعة .

قوله « فلا يفرّق بين اثنين » وفي رواية « ثم لم يتخطّ رقاب الناس » .

وقوله «إلا غُفِرَ له ما بينه وبين الجمعة الأخرى» : المراد بالأخرى التي مضت ، لحديث ابن خزيمة ولفظه : «غُفِرَ له ما بينه وبين الجمعة التي قبلها» وفي رواية : «وزيادة ثلاثة أيام من التي بعدها» .

قال ابن حجر : «وتبين بمجموع ما ذكرنا أن تكفير الذنوب من الجمعة إلى الجمعة مشروط بوجود جميع ما تقدم من غسل وتنظيف وتطيب أو دهن ، وليس أحسن الثياب ، والمشى بالسكينة ، وترك التخطف والتفرقة بين الاثنين ، وترك الأذى ، والتنفل ، والإنصات ، وترك اللغو» .

### فضل التكبير إلى صلاة الجمعة

٤ - وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «مَنْ اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة ، ومَنْ راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومَنْ راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن ، ومَنْ راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومَنْ راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر» .

### شرح مفردات الحديث

قال الحافظ في الفتح :

«قوله ﷺ «مَنْ اغتسل غسل الجنابة» : أى غَسَلَ كغَسَلَ الجنابة . وفي رواية ابن جرير عند عبد الرزاق : «فاغتسل أحدكم كما يغتسل من الجنابة» وظاهره أن التشبيه للكيفية لا للحكم ، وهو قول الأَكْبَر . وقيل : فيه إشارة إلى الجامع يوم الجمعة ليغتسل فيه من الجنابة ، والحكمة فيه أن تسكن نفسه في الرواح إلى الصلاة ولا تمتد عينه إلى شيء يراه ، وفيه حمل المرأة أيضاً على الاغتسال ذلك اليوم . والصواب الأول» .

قوله «ثم راح» : زاد أصحاب الموطأ عن مالك : «في الساعة الأولى» .

قوله «فكأنما قرب بدنة» : أى تصدق بها متقرباً إلى الله . وقيل : المراد أن للمباور في أول ساعة نظير ما لصاحب البدنة من الثواب ممن شرع له التقربان ، لأن التقربان لم يُشرع هذه الأمة على الكيفية التي كانت للأُمم السالفة . والمراد بالبدنة هنا الناقة بلا خلاف .

وقوله «كباشاً أقرن» أى له قرنان ، ووصفه بالأقرن لأنه أكمل وأحسن صورة .

قال النووي : «ومذهب الشافعي وجهاهير أصحابه وابن حبيب المالكي وجهاهير العلماء استحباب التكبير إليها أول النهار ، والساعات عندهم من أول النهار ، والزواح يكون أول النهار وآخره ، قال الأزهري : لغة العرب الزواح الذهاب سواء كان أول النهار أو آخره أو في الليل . وهذا هو الصواب الذي يقتضيه الحديث والمعنى ، لأن النبي ﷺ أخبر أن الملائكة تكتب مَنْ جاء في الساعة الأولى وهو كالمُهْدَى بدنة ، ومَنْ جاء في الساعة الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ، وفي رواية النسائي السادسة ، فإذا خرج الإمام طووا الصحف ، ولم يكتبوا بعد ذلك أحداً» .

ومعلوم أن النبي ﷺ كان يخرج إلى الجمعة متصلاً بالزوال وهو بعد انفصال السادسة ، فدل على أنه لا شيء من الهدى والفضيلة لمن جاء بعد الزوال ، ولأن ذكر الساعات إنما كان للحث في التكبير إليها والترغيب في فضيلة السبق وتفصيل الصف الأول وانظارها والاشتغال بالتنفل بالذكر ونحوه ، وهذا كله لا يحصل بالذماب بعد الزوال ، ولا فضيلة لمن أتى بعد الزوال لأن النداء يكون حيثما ويخبرُمُ التخلف بعد النداء ، والله أعلم» .

قوله ﷺ «فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر» :

استنبط منه الماوردي أن التكبير لا يُستحب للإمام . قال : ويدخل المسجد من أقرب أبوابه إلى المنبر . وما قاله غير ظاهر لإمكان أن يجمع الأمرين بأن يُكْرَمُ ، ولا يخرج من المكان المُعَدُّ له في الجامع إلا إذا حضر الوقت ، أو يُحْمَل على مَنْ ليس له مكان مُعَدُّ .

وفي رواية مسلم : « فإذا جلس الإمام طواوا الصحف وجاعوا يستمعون  
الذِّكْرَ ، وكان ابتداء طَيِّ الصحف عند ابتداء خروج الإمام وانتهائه يجلسه على  
المئبر ، وهو أول سماعهم للذكر ، والمراد به ما في الخطبة من الموعظ وغيرها .  
وأول حديث الزهري : « إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد  
يكتبون الأول فالأول » .

وعن أبي هريرة عند ابن خزيمة : « على كل باب من أبواب المسجد ملكان  
يكتبان الأول فالأول » فكان المراد بقوله في رواية الزهري « على باب المسجد »  
جنس الباب ويكون من مقابلة المجموع بالمجموع ، فلا حجة فيه من أجاز التعبير  
عن الاثنين بلفظ الجمع .

ووقع في حديث ابن عمر صفة الصحف المذكورة ، أخرجه أبو نعيم في الحلية  
مرفوعاً بلفظ : « إذا كان يوم الجمعة بعث الله ملائكة بصحيف من نور وأقلام من  
نور » الحديث . وهو دالٌّ على أن الملائكة المذكورين غير الحفظة ، والمراد بصحيف  
الصحف طَيِّ صحف الفضائل المتعلقة بالمبادرة إلى الجمعة دون غيرها من سماع  
الخطبة وإدراك الصلاة والذكر والدعاء والخشوع ونحو ذلك ، فإنه يكتبه الحفظان  
قطعاً . ووقع في رواية ابن عيينة عن الزهري في آخر حديثه أشار إليه عند  
ابن ماجه : « فمن جاء بعد ذلك فإمّا يجيء لِحَقِّ الصلاة » .

٥ - وعن عمرو بن شعيب رضي الله عنه عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ  
أنه قال : « تُبْعَثُ الملائكة على أبواب المساجد يوم الجمعة يكتبون مجيء الناس ،  
فإذا خرج الإمام طويت الصحف وَرَفِعَتْ الأقلام ، فتقول الملائكة بعضهم  
لبعض : ما حبس فلاناً ؟ فتقول الملائكة : اللهم إن كان ضالاً فاهديه ، وإن كان  
مريضاً فاشفيه ، وإن كان عائلاً فأغنيه » . رواه ابن خزيمة في صحيحه .

٦ - وعن أبي عبيدة رضي الله عنه قال : قال عبد الله بن مسعود رضي الله  
عنه : « سارعوا إلى الجمعة ، فإن الله يَبْرُزُ إلى أهل الجنة في كل يوم جمعة في  
كُتَيْبٍ كافر ، فيكونون منه في القرب على قَدْرِ تسارعهم ، فيحدث الله عز وجل  
لهم من الكرامة ما لم يكونوا رأوه قبل ذلك ، ثم يرجعون إلى أهلهم فيحدثونهم

بما أحدث الله هم . قال : ثم دخل عبد الله المسجد فإذا هو بِرَجُلَيْنِ يوم الجمعة قد  
سبقاه ، فقال عبد الله : رجلان وأنا الثالث ، إن شاء الله أن يبارك في الثالث » .  
رواه الطبراني في الكبير

قوله « فيكونون منه في القرب على قَدْرِ تسارعهم » أي على قدر إسراعهم إلى  
الجمعة ، ويكون قُرْبهم منه سبحانه على قَدْرِ قُرْبهم من الإمام .

٧ - وعن علقمة بن قيس رضي الله عنه قال : خرجتُ مع عبد الله بن  
مسعود يوم الجمعة فوجد ثلاثة قد سبقوه ، فقال : رابع أربعة ، وما رابع أربعة  
من الله ببعيد ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الناس يجلسون يوم القيامة  
من الله عز وجل على قَدْرِ رواحهم إلى الجمعات : الأول ، ثم الثاني ، ثم الثالث ،  
ثم الرابع ، وما رابع أربعة من الله ببعيد » .

رواه ابن ماجه وابن أبي عاصم . قال المنذرى : وإستادهما حسن

## الفصل الثالث

### أحكام وفتاوى

#### وعيد من ترك الجمعة بغير عذر

صلاة الجمعة من أكد فروض الإسلام ، ومن أعظم مجامع المسلمين ، وهي أعظم من كل مجمع يجتمعون فيه وأفرضه سوى مجمع عرفة ، ومن تركها تهاوناً بها طبع الله على قلبه ، كما ثبت في الأحاديث الصحيحة .

١ - فعن أبي الجعد قال : قال رسول الله ﷺ : « من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاوناً بها طبع الله على قلبه » رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذى ، وحسنه الخاضع .

٢ - وعن ابن عمر وأبي هريرة أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول وهو عن أعراب منيرة : « ليتبين أحوالهم عن ودعهم الجمعة ، أو أيجتمعن الله على قلوبهم ، ثم ليكونن من الغافلين » رواه مسلم .

قوله ﷺ « من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاوناً » : الثلاث هنا ليس فيها لكون تركها كبيرة ولو مرة واحدة ، لكن يزداد الخلاك بزيادة الترك حتى يكون طبعاً بنام الثلاث .

وأصل الطبع في اللغة من التوسخ والتدليس بهيبان السيف ، ثم يستعمل في الأوزار والآثام وغيرهما من المقايح . قال العراقي : والمراد بالطبع على قلبه أنه يصير قلبه قلب منافق ، قال الله في حق المنافقين : ﴿ فَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ لِيَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ ( المنافقون : - )

٣ - وعن عبد الله بن أبي أوفى قال : قال رسول الله ﷺ : « من سمع النداء

قال رسول الله ﷺ :

« مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَمَسَّ مِنْ طِيبٍ إِنْ كَانَ لَهُ ، وَلَبَسَ مِنْ أَحْسَنِ ثِيَابِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ وَعَلِيهِ السَّكِينَةُ حَتَّى يَأْتِيَ الْمَسْجِدَ ، ثُمَّ يَرْكَعُ إِنْ بَدَأَ لَهُ ، وَلَمْ يُزِدْ أَحَدًا ، ثُمَّ أَنْصَتَ إِذَا خَرَجَ إِمَامُهُ حَتَّى يُصَلِّيَ ، كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهُمَا » .

( أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن أبي أيوب الأنصاري بإسناد حسن ) .



### الأعداء التي يبيح التخلف عنها

قال البغوي في شرح السنة : « أما ترك الجمعة بالعذر فجازر بالاتفاق . دُعي ابن عمر لسعيد بن زيد وهو يموت ، وابن عمر يستحجر للجمعة ، فأتاه وترك الجمعة » وأحدث أخرجه الشافعي وإسناده صحيح .

وقال ابن عباس لمؤذنه في يوم مطير : « إذا قلت : أشهد أن لا إله إلا الله عمداً رسول الله ، فلا تقل حي على الصلاة ، قل : صلوا في بيوتكم ، وقال : إن الجمعة عزيمة ، لإني كرهت أن أخرجكم فتمشوا في الطين والدُّخْص » ( والدُّخْص ، قال الحافظ : هو الزَّلَق ) .

رواه البخاري في باب الجمعة : باب الرخصة إن لم يحضر الجمعة في نظر

قال الحافظ : وبه قال الجمهور . ومنهم من فرّق بين قليل المطر وكثيره . وعن مالك : لا يُرخص في تركها بالمطر . وحديث ابن عباس هذا حجة في الجور .

ومن الأعداء شدة المرض الذي يشق معه الذهاب إلى المسجد ، ومثل المرض الشبخوخة والضعف عن الذهاب إلى المسجد ، وإذا كان المريض يستطيع الذهاب للمسجد ولكن مرضه يُعدي الناس أو يؤذيهم برائحته حذر له التخلف عن الجمعة . وكذا كل ذي رائحة كريهة تؤذي الجماعة كرائحة البصل ونحوه .

وصلاة الجمعة بوجه عام ذات أهمية كبيرة ، ومن تركها عمداً عرّض نفسه لعقابه شديدة في الدنيا والآخرة .

### فرض الجمعة ومن تجب عليه ومن لا تجب

صلاة الجمعة واجبة بقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ ( الجمعة : ١ ) .  
وقول الرسول ﷺ : « لَيْتَيْهِنَّ أَوْثَامٌ عَنْ وَدَعِهِنَّ الْجُمُعَاتُ أَوْ لَيْخَيْتَهُنَّ اللَّهُ عَنْ قُلُوبِهِنَّ ، فَمَنْ لَيْكُونَنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ » رواه مسلم .

يوم الجمعة ولم يأتيها لم يسمع ولم يأتيها ثلاثاً طبع على قلبه فنجيل قلب منافق » .  
أخرجه الضرائق في الكبير ، وقال العراقي : إسناده حسن .

٤ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لقوم يتخلفون عن الجمعة : « لقد هممت أن أمر رجلاً يصلي بالناس ، ثم أحرقت على رجال يتخلفون عن الجمعة بيومهم » رواه أحمد ومسلم .

قال الشوكاني في ( نيل الأوطار ) : « وقد استدل بأحاديث الباب على أن الجمعة من فروض الأعيان . وقد حكى ابن المنذر الإجماع على أنها فرض عين . وقال ابن العري : الجمعة فرض بإجماع الأمة . وقال ابن قدامة في المعنى : أجمع المسلمون على وجوب الجمعة » .

٥ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « مَنْ ترك الجمعة ثلاث جمع متواليات فقد نبذ الإسلام وراء ظهره » رواه أبو يعلى موقوفاً بإسناد صحيح .

٦ - وروى الترمذي عن ابن عباس « أنه سُئل عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يشهد الجماعة ولا الجمعة - أي بدون عذر - قال : هو في النار » .

قال ابن عبد البر في ( الاستذكار ) : « وهذا يحتمل أن يكون ابن عباس عرف حال المستقل عنه باعتقاد مذهب الخوارج في ترك الصلاة مع الجماعة ، والتهمة باستحلال دماء المسلمين وتكفيرهم ، وأنه لذلك ترك الجمعة والجماعة معهم ، فأجاب بهذا الجواب تغليظاً عليه في سوء مذهبه » .

### حكم من ترك الجمعة بغير عذر

قال ابن عبد البر في ( الاستذكار ) : « أجمع علماء الأمة أن الجمعة فريضة على كل حر بالغ ذكراً ، يدركه زوال الشمس في بصر من الأمصار وهو من أهل المصر غير مسافر ، وأجمعوا أنه من تركها وهو قادر على إتيانها ممن تجب عليه أنه غير كافر بفعله ذلك ، إلا أن يكون جاحداً لها مستكبراً عنها ، وأجمعوا أنه بتركها ثلاث مرات من غير عذر فاسق ، ساقط الشهادة ، وقيل ذلك فيمن تركها عمداً مرة واحدة من غير تأويل ولا عذر » .

قال ابن العرفي : « الجمعة فرض بإجماع الأمة » .

وقال ابن المنذر : « الجمعة فرض عين بإجماع العلماء » .

وقال ابن قدامة في المغني : « أجمع المسلمون على وجوب الجمعة » .

وهي واجبة على كل من جمع العقل والبلوغ والذكورة والحرية والإقامة ، إذا لم يكن له عذر .

فليست واجبة على الأنتى ولا على الرقيق ولا الصبي ولا المسافر ، لقوله ﷺ : « الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة إلا أربعة : عبد مملوك ، أو امرأة ، أو صبي ، أو مريض » أخرجه أبو داود ، وقال الحافظ : صححه غير واحد .

وكل من لا يجب عليه حضور الجمعة ، فإذا حضر وصلى سقط عنه فرض الظهر بأداء الجمعة . قال عبد الله بن مسعود للنساء يوم الجمعة : « إذا صَلَّيْتُمْ مع الإمام فَصَلَّيْنِ بِصَلَاتِهِ ، فإذا صَلَّيْتُمْ وحدكن فَصَلَّيْنِ أربعا » .

وحضورها أفضل من صلاة الظهر لمن إذا لم يكن هناك فتنة .

### عدم جواز السفر بعد الزوال لمن تلزمه الجمعة

وكل من تلزمه الجمعة لا يجوز له أن يسافر بعد الزوال قبل أن يصلي الجمعة ، وإن سافر قبل الزوال بعد طلوع الفجر فلا بأس .

أخرج عبد الرزاق عن ابن سيرين : « أن عمر بن الخطاب رأى رجلاً عليه ثياب السفر بعد ما قضى الجمعة فقال : ما شأنك ؟ قال : أردت سفراً فكرهت أن أخرج حتى أصلي . فقال عمر : إن الجمعة لا تمنعك السفر ما لم يحضر وقتها » .

قال أهل العلم : والحديث رجاله ثقات وأخرج أبو داود في المراسيل وابن أبي شيبة عن الزهري : « أنه أراد أن يسافر يوم الجمعة ضحوة ، فقيل له في ذلك ، فقال : إن النبي ﷺ سافر يوم الجمعة » .

وقد ذهب إلى عدم جواز السفر بعد الزوال لمن تلزمه الجمعة : الشافعي ومالك وأحمد وأكثر أهل العلم . وذهب أبو حنيفة والأوزاعي إلى جوازه كسائر الصلوات . والقول قول الجمهور ، للأثر التي وردت في ذلك .

### العدد الذي تتعقد به الجمعة

لا خلاف بين الفقهاء أن الجماعة شرط من شروط صحة الجمعة ، لأن التسمية تقتضي ذلك . وقد اختلفوا في العدد الذي تتعقد به الجمعة ، والآية الكريمة لا تنص على عدد معين ، وكذلك السنة المظهرة لم يرد فيها نص صريح صحيح على العدد الذي تتعقد به .

ولهذا اختلف الفقهاء على أقوال عديدة :

الحنفية قالوا : يكفى أربعة أحدهم الإمام ، وقيل : ثلاثة . والشافعية قالوا : لا بد من جمع غير أقله أربعون . والمالكية قالوا : لا يشترط عدد معين بل يشترط جماعة تسكن بهم قرية ويقع بينهم البيع ، ولا تتعقد بالثلاثة والأربعة ونحوهم . قال الحافظ في التتبع : « ولعل هذا المذهب أرجح المذاهب من حيث الدليل » .

### الأذان يوم الجمعة

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَفَرَّوْا النَّجَىٰ ﴾ قال القرطبي في هذه الآية : هذا دليل على أن الجمعة لا تجب إلا بالنداء ، والنداء لا يكون إلا بدعوى الوقت ، بدليل قوله عليه الصلاة والسلام : « إذا حضرت الصلاة فأذنا لم أقبما ونؤمكما أكبركم » قاله مالك بن الحويرث وصاحبه .

وفي البخاري عن أنس بن مالك : « أن النبي ﷺ كان يصلي الجمعة حين تميل الشمس ... وهذا مذهب الجمهور من الخلف والسلف ، وقياساً على صلاة الظهر » .

### ما هو الأذان الذي يجب السعي عنده ؟

اختلف العلماء في الأذان الذي يجب السعي عنده :

قال بعض العلماء : المراد به الأذان الأول الذى هو على ( المنارة ) .  
وقال آخرون : المراد به الأذان الذى بين يدي الخطيب إذا صعد الإمام المنبر .  
حجة الفريق الأول :

أن المراد من النداء هو الإعلام ، والسعى إنما يجب عند الإعلام ، وهو ( الأذان الأول ) على المنارة الذى زاده عثمان رضى الله عنه ، وذلك عندما رأى كثرة الناس وتباعده مساكنهم عن المسجد ، فأمر بالتأذين الأول على الزوراء ، قال البخارى : وهى موضع بسوق المدينة . وقد ثبت الأمر على ذلك من عهدنا إلى عصرنا هذا . واستدلوا بما رواه البخارى فى صحيحه عن السائب بن يزيد رضى الله عنه أنه قال : « كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد النبى ﷺ وأدى بكر وعمر رضى الله عنهما ، فلما كان زمن عثمان رضى الله عنه وكثرت الناس زاد النداء الثالث على الزوراء ، فثبت الأمر على ذلك » .  
( والمقصود بالنداء الثالث الإقامة ) .

حجة الفريق الثالث :

الأذان الذى يجب فيه السعى وترك البيع هو « الأذان الثانى » الذى يكون بين يدي الخطيب ، لأنه هو الأذان الذى كان فى زمنه ﷺ ، وهو عليه الصلاة والسلام أحرص الناس على أن يؤدى المؤمنون الواجب عليهم فى وقته ، فلو كان السعى واجباً قبل ذلك لبيته لهم ، ولجعل بين الأذان والخطبة زمناً يتسع للمعسر الناس .

وهذا المذهب هو رأى جمهور أهل العلم ، وهو الراجح .

هل يفسخ البيع عند الأذان ؟

دل قوله تعالى : ﴿ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ على حرمة البيع والشراء وسائر المعاملات عند الأذان ، وقد اختلف العلماء فى عقد البيع هل هو صحيح أم فاسد ؟

فقال بعضهم : إنه فاسد لورود النبى ﴿ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ .  
وقال الأكرهون : إنه حرام ولكنه غير فاسد ، وهو يشبه الصلاة فى الأرض المغصوبة تصح مع الكراهة .

قال القرطبى : « والصحيح فساده وفسخه لقوله عليه الصلاة والسلام : « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رذء » أى مردود . والله أعلم » .

حكم غسل الجمعة

- أخرج البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل » .

- وأخرج أيضاً عن أن سعيد الخدرى رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « غسل الجمعة واجب على كل محتلم » .

قال النووى : « المراد بالمحتلم : البقع ، والمراد بالواجب : وجوب اختيار . كقول الرجل لصاحبه : حفتك واجب على ، والله أعلم » .

وقال ابن عبد البر : « كأنه قال : واجب فى الأخلاق الكريمة وحسن المجالسة » .

- وعن سمرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من توضأ يوم الجمعة فيها ونعمت ، ومن اغتسل فاعتسل أفضل » .

رواه أبو داود والترمذى وقال : حديث حسن .

قال أبو حاتم : « ذكر عن الأصمعى أنه سئل عن تفسير ذلك فقال : فى أى بالسنة - أخذ ونعمت الخصلة هى . أو قال : ونعمت الخصلة فعل » .

وجمهور أهل العلم على أن غسل الجمعة يستحب مندوب إليه فهو فضيلة لا فريضة .

قال ابن عبد البر : « لو كان الغسل للجمعة واجباً فرضاً لكان من فرض الجمعة ألا تجزىء إلا به ، وقد أجمع العلماء على أن صلاة من شهد الجمعة عن وضوء دون غسل جائزة ماضية . وبذلك على ذلك أيضاً أن عثمان دخل يوم الجمعة وعمر يخطب فقال عمر : أبة ساعة هذه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، انقلبت

من السوق فسمعت النداء ، فما زدث على أن توضأت . فقال عمر : الوضوء أيضاً وقد علمت أن رسول الله ﷺ كان يأمر بالغسل ؟ ولم يأمره بالخروج إلى الغسل ولا بالإعادة إذا صلاها بالوضوء بغير غسل ، وعثمان قد علم من ذلك ما حمه على شهودها بغير غسل .

وهذا الحديث رواه البخارى في صحيحه عن ابن عمر رضى الله عنهما أن عمر بن الخطاب بينما هو قائم في الخطبة يوم الجمعة إذ دخل رجل من المهاجرين الأولين من أصحاب النبي ﷺ فناداه عمر : أية ساعة هذه ؟ قال : إني شغلث فلم أنقلب إلى أهلى حتى سمعت التأذين ، فلم أزد أن توضحأت ، فقال : والوضوء أيضاً وقد علمت أن رسول الله ﷺ كان يأمر بالغسل ؟ .

قال الحافظ في الفتح : « وقد سُمى ابن وهب وابن القاسم في روايتهما عن مالك في الموطأ الرجل المذكور عثمان بن عفان ، وكذا سُمى معمر في روايته عن الزهري عند الشافعى وغيره . »

وقول سيدنا عمر « أية ساعة هذه ؟ » : استفهام المراد منه الإنكار ، وكأنه يقول : لِمَ تأخرت إلى هذه الساعة ؟ وفي رواية مسلم : « فعرض عنه عمر فقال : ما بال رجال يتأخرون بعد النداء » ومراد سيدنا عمر رضى الله عنه التلميح إلى ساعات التكبير التي وقع الترغيب فيها وأنها إذا انقضت طوت الملائكة الصحف ، وفهم سيدنا عثمان ذلك فبادر إلى الاعتذار عن التأخر .

وقوله « والوضوء أيضاً ؟ » : المعنى : ما اكتفيت بتأخير الوقت وتفرقت الفضيلة حتى تركت الغسل واقتصرت على الوضوء ؟

قال الإمام الشافعى رحمه الله في ( الرسالة ) بعد أن أورد حديثى ابن عمر وأبى سعيد : « ... وأمره بالغسل يحتمل معنيين : الظاهر منهما أنه واجب ، فلا تجزىء الطهارة لصلاة الجمعة إلا بالغسل ، كما لا يجزىء في طهارة الحُب غير الغسل ، ويحتمل واجب في الاختيار والأخلاق والنظافة . »

ثم استدلل للاحتيال الثانى بقصة عثمان مع عمر التي تقدمت قال : « ... فنمّا لم يترك عثمان الصلاة للغسل ، ولَمَّا لم يأمره عمر بالخروج للغسل - دل ذلك على أنهما قد علما أن أمر رسول الله ﷺ بالغسل على الاختيار ، لا على أن لا يجزىء غيره ... » .

قال الحافظ : « وعلى هذا الجواب عوّل أكثر المصنّفين في هذه المسألة كابن خزيمة والطبرى والطحطاوى وابن حبان وابن عبد البر وهلم جرا ، وزاد بعضهم فيه أن من حضر من الصحابة وافقوهما على ذلك فكان إجماعاً منهم على أن الغسل ليس شرطاً في صحة الصلاة وهو استدلال قوى ، وقد نقل الخطافى وغيره الإجماع عن أن صلاة الجمعة بدون الغسل مجزئة . »

ومن الدليل أيضاً على أن الأمر بالغسل للجمعة ليس على الوجوب ما روته السيدة عائشة وابن عمر وابن عباس وأبو سعيد في الوجه الذى من أجله أمروا بالغسل يوم الجمعة أول ما أمروا به ، فمن ذلك حديث ابن عمر ، قال : « كان الناس يغسولون في أعمامهم ، فإذا كانت الجمعة جاؤوا وعليهم ثياب دَرَنَة وألوانها متغيرة ، قال : فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فقال : مَنْ جاء منكم الجمعة فيغتسل ، ويتخذ ثوبين لجمعة سوى ثوبى مهنته . » رواه البخارى والبيهقى ( ومعنى دَرَنَة : وسخة ، ومهنته : عمله ) .

قال إمام مالك والثورى وجماعة من أهل العلم : إن غسل الجمعة سنة مؤكدة . لأنها قد عمل بها رسول الله ﷺ والخلفاء بعده والمسلمون ، واستحبوها وندبوا إليها ، وهذا سبيل السنن المؤكدة .

### فوائد هامة<sup>(١)</sup>

١ - ذهب الشافعى وأبو حنيفة إلى أن من اغتسل للجمعة بعد الفجر أجزاء من غسله ، وهو قول الحسن البصرى والنخعى ، وبه قال أحمد وإسحق وأبو نؤير والطبرى ، وهو قول ابن وهب صاحب مالك . ولكن الغسل قبل الذهاب بوقت يسير أفضل .

٢ - قال الشافعى : الغسل للجمعة سنة ، ومن اغتسل للفجر للجنبانها وأجزأه ، وإن اغتسل لها - أى للجمعة - دون الجنابة وهو جنب لم يجزئه .

(١) منقولة من كتاب ( الاستذكار ) لابن عبد البر .

٣ - قال الأثرم : سمعت أحمد بن حنبل سُئل عن غسل يوم الجمعة هل يكفيه الوضوء ؟ فقال : نعم ولم أسمع فيه أعلى من حديث ابن أبي عمير ، يشير إلى ما أخرجه ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبي عمير عن أبيه وله صحبة « أنه كان يغتسل يوم الجمعة ثم يُغِدُّ فيتوضأ ولا يعيد الغسل » .  
قال الطحاوي : فهذا يدل على أن الغسل لليوم لا للرواح إلى الجمعة .

٤ - اختلف العلماء فيمن اغتسل للجمعة وهو جنب ولم يذكر جنبته : فذهب طائفة منهم إلى أنه يجزئ من غسل الجنابة وإن كان ناسياً لها في حين الغسل . وممن ذهب إلى ذلك ابن كنانة وأشهب وابن وهب وابن نافع ومحمد بن مسلمة ، وهؤلاء من أصحاب مالك ، وبه قال المزي صاحب الشافعي .  
وقال آخرون : لا يجزئ ذلك من غسل الجنابة حتى ينوي غسل الجنابة ، ويكون ذاكرةً لجنبته في حين غسله قاصداً إلى الاغتسال منها . وممن ذهب إلى هذا ابن القاسم ، وحكاه ابن عبد الحكم عن مالك ، وهو قول الشافعي وأكبر أصحابه ، وبه قال داود ، وهو الراجح ، والله أعلم .

٥ - قال الأثرم : قلت لابن حنبل : رجل اغتسل يوم الجمعة من جنبته ينوي به غسل الجمعة ، فقال : أرجو أن يُجزئه منهما جميعاً . قلت له : يُروى عن مالك أنه قال : لا يُجزئه عن واحد منهما ، فأنكره .  
قال أبو بكر بسنده عن ابن عمر أنه كان يغتسل للجمعة والجنابة غسلًا واحداً .

### هل المسجد شرط في صحة الجمعة ؟

ذهب جمهور العلماء إلى أنه لا يُشترط لصحة الجمعة أدائها في المسجد . قال ابن قدامة الحنبلي في المغني : « ولا يُشترط لصحة الجمعة البناء بل تحوز إقامتها فيما قاربه من الصحراء » .

وفي المجموع للنووي الشافعي : « ولا يشترع إقامتها في مسجد ، ولكن تجوز في ساحة مكشوفة بشرط أن تكون داخلية في القرية أو البلدة معدودة في حطبة من صلوها خارج البلدة لم تصح بلا خلاف سواء كانت بقرب البلدة أو بعيداً عنها ، وسواء صلوا في ركن أم ساحة . ولو تهدمت أبنية القرية أو البلدة فأنه يُعفى عن عمارتها لزمهم الجمعة فيها سواء كانوا في مسائف ومظال أم لا ، لأنه محل الاستيطان » .

قال الشوكاني ( نيل الأوطار ) : « قال أبو حنيفة والشافعي وسائر العلماء : إن المسجد ليس شرطاً لإقامة الجمعة إذ لم يفصل دليل وجوبها ، وبه إنما روي أنه صَلَّى الجمعة في بعض الوادي ، وقد روى ذلك أصحاب السير ومنهم ابن سعد » .

وما المالكية فذهبوا - كما في الشرح الكبير - إلى أن المسجدية شرط وجوب وصحة معاً أو شرط صحة فقط ، ولا تصح في براح أحيط بأحجار من غير بناء ، لأنه لا يُسَمَّى مسجداً إذ المسجد منه بناء وسقف على المعتمد .  
والقول قول الجمهور والله أعلم .

### القرأة في صلاة الجمعة

عن عبيد الله بن أبي أرقب أن مروان بن الحكم استخلف أبا هريرة على السنة ، فعلى بهم أبو هريرة الجمعة ، فقرأ ( سورة الجمعة ) في الركعة الأولى . وفي الثانية ( إذا جاءك المنافقون ) ، فقال عبيد الله : فلما انصرف أبو هريرة سئبت إلى جنبه فقلت له : لقد قرأت سورتين سمعتُ علي بن أبي طالب يقرأهما في الصلاة ، فقال أبو هريرة : سمعتُ رسول الله ﷺ يقرأ بهما .  
أخرجه مسلم في صحيحه

قال النووي : « وفي الحديث استحباب قراءة بهما بكماهما فيهما ، وهو مذهبنا ومذهب آخرين . قال العلماء : والحكمة في قراءة الجمعة اشتغالها على وجوب الجمعة ، وغير ذلك من أحكامها ، وغير ذلك مما فيها من القواعد واخت على

التوكل والذكر وغير ذلك . وقراءة سورة المنافقين لتوبيخ حاضريها منهم وتبهيهم على التوبة وغير ذلك مما فيها من القواعد لأنهم ما كانوا يجتمعون في مجلس أكثر من اجتماعهم فيها .

- أخرج الطبراني في الأوسط عن أنى هريرة رضى الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ ممّا يقرأ في صلاة الجمعة بالجمعة فيحرض به المؤمنين في الثانية بسورة المنافقين فيفزع المنافقين » .

- وأخرج مسلم عن النعمان بن بشير قال : « كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدين في الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية ، قال : وإذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرأ بهما أيضاً في الصلاتين » .

قال النووي : « فيه استحباب القراءة فيهما بهما . وفي الحديث الآخر القراءة في العيد ( بقاف ) واقتربت الساعة ) وكلاهما صحيح ، فكان النبي ﷺ في وقت يقرأ في الجمعة ( الجمعة والمنافقين ) وفي وقت ( سبح وهل أتاك ) وفي وقت يقرأ في العيد ( قاف واقتربت ) وفي وقت ( سبح وهل أتاك ) » .

وهذا قول مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأنى ثور .

وقال أبو حنيفة وأصحابه ورواه ابن أبي شيبة في المصنف عن الحسن البصري أنه يقرأ الإمام بما شاء .

وقال الثوري : « لا يتعمد الإمام أن يقرأ في الجمعة بالسورة التي جاءت في الآثار ، ولكن يتعمد ذلك أحياناً ويدع أحياناً » .

### حكم إدراك ركعة من صلاة الجمعة

قال الإمام مالك في موطنه عن ابن شهاب أنه كان يقول : من أدرك من صلاة الجمعة ركعة فليصل إليها أخرى . قال مالك : قال ابن شهاب : وهي السنة . قال مالك : وعلى ذلك أدركت أهل العلم ببلدنا ، وذلك أن رسول الله ﷺ قال : « من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك الصلاة » .

وهكذا قال الشافعي وأصحابه والثوري والحسن والأوزاعي وزفر بن أسيد ومحمد بن الحسن - في الأشهر عنه - والليث بن سعد وأحمد بن حنبل ، قال : « من أدرك ركعة من صلاة الجمعة مع الإمام صلى الله عليه وسلم إليها أخرى ، ومن لم يدرك ركعة تامة معه صلى أربعاً » .

قال أحمد بن حنبل : إذا فاته الركوع صلى أربعاً ، وإذا أدرك ركعة صل بها أخرى ، وروى ذلك عن غير واحد من أصحاب النبي ﷺ منهم ابن مسعود وابن عمر وأنس .

وفي المسألة قول آخر : قال أبو حنيفة وأبو يوسف : إذا أحرم في الجمعة من سلام الإمام صلى ركعتين . روى ذلك عن الشافعي وهو قول حاكم وحماد بن داود . وحببتهم قوله عليه الصلاة والسلام : « ما أدرككم فصلوا ، وما لم تدركم فأتوا » قالوا : ونزول أدرك من الصلاة جزءاً قبل السلام فهو مأثور بالدخول فيها مع الإمام . ومعلوم أن الذي فاته ركعتان فإنما يقضى ما فاته ، وذلك ركعتان لا أربع .

قال ابن عبد البر : « في قوله ﷺ « من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك الصلاة » - وقد أجمعوا أن إدراكها بإدراك الركوع مع الإمام - دليل على أن من لم يدرك من الصلاة ركعة فلم يدركها . هذا مفهوم الخطاب ، ومن لم يدركها لزمه أن يصلي ظهر أربعاً . وقد جعل رسول الله ﷺ الذي لا يدرك منها ركعة تامة في حكم من يدرك منها شيئاً ، وهو أولى ما قيل في هذا الباب ، والله سوفق للصواب » .

والخلاصة في مسألة : أن من دخل المسجد يوم الجمعة والتقوم يصلون فإن أدرك معهم ركعة كاملة فقد أدرك صلاة الجمعة فيأتي بركعة أخرى ، وإذا لم يدرك ركعة كاملة صلى أربعاً لأنه لم يدرك بذلك صلاة الجمعة ، وهذا قول أكبر أهل العلم .

### فائدة :

من رَعَف يوم الجمعة أو أحدث والإمام يطلب فخرج ولم يرجع حتى فرغ الإمام من صلاته فإنه يصلي أربعاً .

### ما جاء في سنة الجمعة البعدية

- أخرج مسلم عن أنى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :  
« إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعاً » .

زاد عمرو في روايته : قال ابن إدريس قال سهيل : « فإن عجل بك شئ »  
فصل ركعتين في المسجد وركعتين إذا رجعت .

- وأخرج مسلم عن سالم عن أبيه « أن النبي ﷺ كان يصل بعد الجمعة  
ركعتين » .

قال النووي : « في هذه الأحاديث استحباب سنة الجمعة بعدها والحث  
عليها ، وأن أقلها ركعتان وأكملها أربع ، فبها ﷺ بقوله : إذا صلى أحدكم بعد  
الجمعة فليصل بعدها أربعاً على الحث عليها ، فأق بصيغة الأمر ، وثبه بقوله ﷺ  
في رواية : « مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَصَلِّياً عَلَى أَنَّهَا سَنَةٌ لَيْسَتْ وَاجِبَةً ، وَذَكَرَ الْأَرْبَعَ  
لِفَضِيلَتِهَا ، وَفَعَلَ الرَّكْعَتَيْنِ فِي أَوْقَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِأَنَّ أَقْلَهَا رَكْعَتَانِ ، وَمَعْدُومٌ أَنَّهُ ﷺ  
كَانَ يَصَلِّي فِي أَكْثَرِ الْأَوْقَاتِ أَرْبَعاً لِأَنَّهُ أَمَرْنَا بِهِنَّ وَحَثَّنَا عَلَيْهِنَّ ، وَهُوَ أَرْغَبُ فِي  
الْخَيْرِ وَأَحْرَصُ عَلَيْهِ وَأَوْلَى بِهِ ﷺ » .

### اجتماع العيد والجمعة في يوم واحد

ذهب الحنفية والمالكية إلى أنه إذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد تؤدى  
الصلاتان كل في وقتها المشروع ، فلا تسقط إحداها بالأخرى .

وذهب الشافعية إلى عدم سقوط الجمعة عن أهل البلد باتفاق أئمة المذهب ،  
فيجب عليهم أدائها في وقتها ، وأداء صلاة العيد في وقتها . وللشافعية في أهل  
القرى الذين تلتزمهم الجمعة لبلوغهم نداء البلد إذا حضروا فصلوا العيد في البلد  
وجهان ، أصحابها سقطها ، فلا تجب عليهم الجمعة ؛ لما رواه البخارى عن عثمان  
ابن عفان رضى الله عنه أنه قال في خطبته : « أيها الناس ، قد اجتمع عيدان في  
يومكم هذا ، فمن أراد من أهل العالية ( قرية قرب المدينة ) أن يصل معنا الجمعة

فليصل . ومن أراد أن ينصرف فلينصرف ، ولم ينكر عليه أحد من صحابة ،  
ولأنهم إذا فعلوا بالبلد حتى يصلوا الجمعة فاتهم التهيؤ للعيد ، وإذا خرجوا إلى  
قراهم ثم عادوا للجمعة كان عليهم في ذلك مشقة ، والجمعة تسقط بالمشقة .  
وذهب أحمد إلى عدم وجوب الجمعة على أهل البلد والقرى في هذا اليوم ،  
فإذا لم يصلوا الجمعة وجب الظهر ، لحديث زيد بن أرقم وقد سأله معوية : هل  
شهدت مع رسول الله ﷺ عيدين اجتماعاً ؟ قال : نعم ، صلى العيد أول النهار ،  
ثم رخص في الجمعة فقال : « مَنْ شَاءَ أَنْ يَجْمَعَ فَلْيَجْمَعْ » وفي رواية : « مَنْ شَاءَ  
أَنْ يَصِلَ فَلْيَصِلْ » رواه أحمد وأبو داود .

### كراهية إفراد يوم الجمعة بالصوم وليته بالقيام

- عن محمد بن عباد قال : سألت جابراً رضى الله عنه : « أنهى النبي ﷺ  
عن صوم يوم الجمعة ؟ قال : نعم ، زاد غير أنى عاصم « يعنى أن يفرد صومه » .  
رواه البخارى في صحيحه

- وعن أنى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « لا يصوم  
أحدكم يوم الجمعة إلا يوماً قبله أو بعده » رواه البخارى .

- وعن جويرية بنت الحارث رضى الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها يوم  
جمعة ومي صائفة فقال : « أصمت أمس ؟ قالت : لا . قال : تريد أن  
تصومي غداً ؟ قالت : لا . قال : فأطري » رواه البخارى .

- وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « لا تصوموا يوم  
جمعة وحده » رواه أحمد في مسنده .

- وعن أنى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يوم الجمعة  
يوم عيد . فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم إلا أن تصوموا قبله أو بعده » رواه أحمد .

- وعن أنى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تخصوا ليلة  
الجمعة بقيام من بين الليالي ، ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام ، إلا أن  
يكون في صوم يصومه أحدكم » رواه مسلم .

## الفصل الرابع

### سنن وآداب تتعلق بصلاة الجمعة ويوم الجمعة

وهي نحو من خمسة عشر :

#### ١ - الاستعداد لها

أن يستعد لها من يوم الخميس وفي ليلة الجمعة ، بالتنظيف ، وغسل ثياب ، وإعداد ما يصبح لها ، ويفرغ قلبه من الأشغال التي تمتعه من البكور ، وجمعة . قال بعض السلف : أتوق الناس نصيباً من الجمعة من انتظره ورعها من الأمس ، وأحفظهم نصيباً من إذا أصبح يقول : ما هذا اليوم ؟

#### ٢ - قراءة سورتي السجدة والإنسان

قراءة سورة ﴿ ألم تنزيل ﴾ السجدة و ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر ﴾ في صلاة الفجر يوم الجمعة ، للحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة ألم تنزيل السجدة وهل أتى على الإنسان حين من الدهر ... الحديث . قال ابن القيم رحمه الله :

« ويظن كثير ممن لا علم عنده أن المراد تخصيص هذه الصلاة بسجدة زائدة ويسمونها سجدة الجمعة ، وإذا لم يقرأ أحدهم هذه السورة استحسب قراءة سورة أخرى فيها سجدة ، ولهذا كره من كره من الأئمة المتداومة على قراءة هذه السورة في

- وعن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من كان منكم متطوعاً من الشهر فليصم يوم الخميس ولا يصم الجمعة فإنه يوم طعام وشراب وذكر » رواه ابن أبي شيبة في مصنفه .

قال ابن حجر في الفتح : « وهذه الأحاديث تقيد النبي المطلق في حديث جابر وتؤيد الزيادة التي تقدمت من تفيد الإطلاق بالإنفراد ، ويؤخذ من الاستثناء جوازه لمن صام قبله أو بعده ، أو اتفق وقوعه في أيام له عادة بصومها كمن يصوم أيام البيض ، أو من له عادة بصوم يوم معين كيوم عرفة فوافق يوم الجمعة ، ويؤخذ منه جواز صومه لمن نذر يوم قدوم زيد مثلاً أو يوم شفاء فلان » اهـ .

وهذا قول أكثر أهل العلم : أنه يكره لإفراد يوم الجمعة بصوم أو قيام ، وذهبوا إلى أن النبي للكره لا للتحريم ، إلا إذا صام يوماً قبله أو يوماً بعده ، أو وافق عادة له ، أو كان يوم عرفة أو عاشوراء ، فإنه حينئذ لا يكره صيامه .



فجر الجمعة دفعاً لتوهم الجاهلين . وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : من كان النبي ﷺ يقرأ هاتين السورتين في فجر الجمعة لأهسا تضحتا ما كان ويكون في يومها ؛ فإنهما اشتملتا على تحلّي آدم وعلى ذنوب المعاد وحشر العباد ، وذلك يكون يوم الجمعة ، وكان في قراءتها في هذا اليوم تذكير للأمة بما كان فيه ويكون والمسجده جاءت تبعاً ليست مقصودة حتى يقصد المصلّي قراءتها حيث اتفقت . اهـ .

٣ - الاغتسال

الاجتسال في يومها ، كما جاء في الأحاديث الصحيحة ، فإذا أصبح ابتداءً بالغسل بعد طلوع الفجر ، وإن كان لا يُكْرَفُ فأقربه إلى الرواح أحب ليكون أقرب عهداً بالنظافة ، فالغسل يومها مستحب استحباباً مؤكداً .  
ومن اغتسل للجنابة فليُفَضِّضْ الماء على بدنه مرة أخرى على نية غسل الجمعة ، فإن اكتفى بغسل واحد أجزأه ، وحصل له الفضل إذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة في غسل الجنابة . ومن اغتسل ثم أحدث توضأ ولم يُتَضَّلْ غسله ، والأحسُّ أن يمتزج عن ذلك .

٤ - لبس أحسن الثياب

يُستحب أن يلبس فيه أحسن الثياب التي يقدر عليها ، فقد روى إمام أحمد في مسنده من حديث أبي أيوب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من اغتسل يوم الجمعة ، ومس من طيب إن كان له ، ولبس من أحسن ثيابه ، ثم خرج وعليه السكينة حتى يأتي المسجد ، ثم يركع إن بدا له ، ولم يؤذ أحداً ، ثم أتت إذا خرج إمامه حتى يصل ، كانت كفارة لما بينهما » أخرجه أحمد بإسناد حسن .  
وإسناده عن داود عن عبد الله بن سلام أنه سمع النبي ﷺ يقول على المنبر في يوم الجمعة : « ما على أحدكم لراشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبين مهنته » .  
رواه أبو داود بإسناد صحيح

قال الشافعي رحمه الله : « من نظف ثوبه فن هتمه ، ومن طاب ريحه زاد عنه » .  
وأما الكسوة فأحبها البياض من الثياب ، ولا يلبس ما فيه شهرة .

٥ - التبكير في الذهاب للصلاة

البكور إلى اجمع ، وفضل البكور عظيم . وينبغي أن يكون في سعيه إلى الجمعة خاشعاً منواضعاً نواياً للاعتكاف في المسجد إلى وقت الصلاة ، فاصداً للمبادرة إلى جواب نداء النوى سبحانه ونعالي إلى الجمعة إياه ، والمسارة إلى مفقرته ورضوانه .

وقد قال ﷺ : « من راح إلى الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرب ثلثة ، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن ، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما أهدى دجاجة ، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما أهدى بيضة . فإذا خرج الإمام طويت المسحف ورفعت الأعلام وجمعت ملائكة عند حيز يستمعون الذكر ، فمن جاء بعد ذلك فإنما جاء ليجزئ الصلاة ليس له من الفضل شيء » .  
والساعة الأولى إلى طلوع الشمس ، والثانية إلى ارتفاعها ، والثالثة إلى انبساطها حين ترمض الأقدام ، والرابعة والخامسة بعد الضحى الأعلى إلى زوال وفضلهما قليل ، ووقت زوال حق الصلاة ولا فضل فيه . حكاه الغزالي في الإحياء .

قال أبو حامد الغزالي : « وكان يزري في القرن الأول سحراً أو بعد فجر الطرقات مملوءة من الناس بمشون في السرح ويزدحمون بها إلى الجامع كأبواب العيد ، حتى اندرس ذلك ، فقليل : أول بدعة حدثت في الإسلام ترك البكور إلى الجامع . وكيف لا يستحي المسلمون من اليهود والنصارى وهم يكرّون إلى البيع والكنائس يوم السبت والأحد ؟ وطلاب الدنيا يكرّون إلى رحاب الأسواق للبيع والشراء والربح ، فينم لا يسابقهم طلاب الآخرة ؟ »

ويقال : إن الناس يكونون في قريتهم عند النظر إلى وجه الله تعالى يوم القيامة على قدر بكورهم إلى الجمعة . فقد ذكر الطبراني في معجمه عن أبي عبيد قال :

قال عبد الله بن مسعود : « سارعوا إلى الجمع فإن الله عز وجل يترز لأهل الجنة في كل جمعة في كتيب من كافور ، فيكون منه في القرب على قدر تسارعهم إلى الجمعة ، فيحدث الله سبحانه لهم من الكرامة شيئاً لم يكونوا رأوه قبل ذلك ، ثم يرجعون إلى أهلهم فيحدثونهم بما أحدث الله لهم . قال : ثم دخل عبد الله المسجد فإذا هو برَجُلَيْنِ ، فقال عبد الله : رجلان وأنا الثالث ، إن يشأ الله يبارك في الثالث . »

### ٦ - عدم تخطي رقاب الناس

في هيئة الدخول : ينبغي أن لا يتخطى رقاب الناس ولا يمر بين يدي المصلي ، والبهكر يسهل ذلك عليه ، فقد ورد نهي أكيد عن تخطي الرقاب . وإذا كان الصف الأول متروكاً خالياً فله أن يتخطى رقاب الناس لأنهم ضيعوا حقهم وتركوا موضع الفضيلة . قال الحسن : « تخطوا رقاب الناس الذين يقعدون على أبواب الجوامع يوم الجمعة فإنه لا حرمة لهم . »

### ٧ - الحرص على الصف الأول

أن يطلب الصف الأول ، لقول النبي ﷺ : « لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا . »

رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة

قال الخافظ في الفتح (١) :

والنداء هو الأذان . قال الطيبي : أطلق مفعول يعلم وهو ما ولم بين الفضيلة ما هي ليفيد ضرباً من المبالغة ، وأنه مما لا يدخل تحت الوصف والإطلاق إنما هو في قدر الفضيلة وإلا فقد بُيِّنَتْ في الرواية الأخرى بالخبر والبركة .

والمراد بالصف الأول ما يلي الإمام مطلقاً ، وقيل : أول صف تام يلي الإمام ، لا ما تخلل شيء كمقصورة ، وقيل : المراد به من سبق إلى الصلاة ولو صلى آخر الصفوف ، قاله ابن عبد البر ، واحتج بالاتفاق على أن من جاء أول الوقت

(١) فتح الباري ( ٢ / ٩٦ )

ولم يدخل في نصف الأول فهو أفضل من جاء في آخره وزاحم إليه ، ولا حجة له في ذلك كما لا يخفى .

قال النووي : « القول الأول هو الصحيح المختار وبه صرح الصنفون ، والقولان الآخران غلط صريح » اهـ .

- وعن نعمان بن بشير رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول ، أو الصفوف الأولى . »

رواه أحمد بإسناد جيد

قال العلماء : وفي اخض على الصف الأول - أيضاً - المسارعة إلى خلاص الذمة ، والسبق لدخول المسجد ، والقرب من الإمام واستماع قراءته والتعبد منه ، والفتح عليه ، والتبليغ عنه ، والسلامة من اختراق المارة بين يديه ، وسلامة البال من رؤية من يكون قدماه ، وسلامة موضع سجوده من أذيال المصلين .

### ٨ - قطع نفل الصلاة عند صعود الإمام

أن يقطع النفل من الصلاة والذكر عند خروج الإمام ويشغل بإجابة مؤذن ثم لسمع الخطبة ، هذا إن كان داخل المسجد ، أما إذا دخل المسجد والإمام يخطب فلا يجلس حتى يصل ركعتين يتجاوز فيهما ، للحديث الصحيح الذي رواه مسلم والترمذي والبيهقي وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « جاء سليلك العطفاني ورسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة ، فقال له النبي ﷺ : صليت ؟ قال : لا . قال : صل ركعتين وتجاوز فيهما . »

### ٩ - الصلاة بعد الجمعة

أن يصل السنة بعد الجمعة إن شاء ركعتين وإن شاء أربعاً ، للحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من كان منكم مصلياً بعد الجمعة فليصل أربعاً . »

وعن نافع عن عبد الله بن عمر « أنه كان إذا صلى الجمعة انصرف فسجد سجدتين في بيته ، ثم قال : كان رسول الله ﷺ يصنع ذلك » .  
ففي هذه الأحاديث استحباب سنة الجمعة بعدها والحث عليها ، وأن أفلها ركعتان وأكملها أربع .

#### ١٠ - الإقامة في المسجد بعد الصلاة

أن يقم في المسجد حتى يصل العصر ، وإن أقام إلى المغرب فهو أفضل فيحصل على ثواب المعتكف ، فإن عاف الخوض فيما لا يعني فالأفضل أن يرجع إلى بيته ذاكراً لله عز وجل ، مفكراً في آياته ، شاكراً لله تعالى عن توفيقه ، خالفاً من تقصيره ، مراقباً لقلبه ولسانه ، إلى غروب الشمس حتى لا نفوته الساعة الشريفة . ولا ينبغي أن يتكلم في المسجد بحديث الدنيا ، قال ﷺ : « يأتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم أمر دنياهم ليس لله تعالى فيهم حاجة ، فلا تجالسوهم » .

قال الخافظ العراقي : « أخرجه البيهقي في الشعب من حديث الحسن مرسلأ ، وأسنده الحاكم من حديث أنس وصحح إسناده » .

#### ١١ - تحريم ساعة الإجابة

أن يراقب الساعة الشريفة التي في يوم الجمعة بإحضار القلب وملازمة الذكر .

واختلف في هذه الساعة ، ففي أفراد مسلم من حديث أبي موسى رضي الله عنه أنها ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تفضي الصلاة . وفي حديث آخر صحيح عن جابر أنها آخر ساعة بعد العصر . وفي حديث أنس رضي الله عنه : الشمس ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس .

قال ابن القيم في الزاد : « وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما

قال : الساعة التي تُذكر يوم الجمعة ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس ، وكان سعيد بن جبيرة إذا صل العصر لم يتكلم أحداً حتى تغرب الشمس ، وهذا هو قول أكثر السلف وعليه أكثر الأحاديث . وبليه القول بأنها ساعة لصلاة ، وبقية الأقوال لا دليل عليها . وعندى أن ساعة الصلاة ساعة يُرجى فيها الإجابة أيضاً فكلامها ساعة إجابة ، وإن كانت الساعة المخصوصة هي آخر ساعة بعد العصر ، فهي ساعة معينة في اليوم لا تتقدم ولا تتأخر ، وأما ساعة الصلاة فتابعة للصلاة تقدمت أو تأخرت ، لأن لاجتماع المسلمين وصلاتهم وتضرعهم وابتهاهم إلى الله تعالى تأثيراً في الإجابة ، فساعة اجتماعهم ساعة تُرجى فيها الإجابة . وعلى هذا تنفق الأحاديث كلها ويكون النبي ﷺ قد حصل أمته على الدعاء والابتهاج إلى الله تعالى في هاتين الساعتين » .

#### ١٢ - الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ

أن يُكثر من الصلاة على النبي ﷺ في هذا اليوم ، وفي ليلة الجمعة أيضاً ، لقوله ﷺ : « أذكروا عني من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة ، فمن فعل ذلك كنت له شهيداً وشفيحاً يوم القيامة » روى البيهقي بإسناد حسن .

ويبين الإمام ابن قيم رحمه الله الحكمة في ذلك فيقول : « رسول الله ﷺ سيد الأنام ويوم الجمعة سيد الأيام . فصلاة عليه في هذا اليوم مربية ليست بغيره ، مع حكمة أخرى وهي أن كل حبر نالته أمته في الدنيا والآخرة وبها نالته على يده ، فجمع الله لأمة به بين خيرى الدنيا والآخرة ، فأعظم كرامة تحصل لهم فلما تحصل يوم الجمعة ، فإن فيه بعثهم إلى منازلهم وقصورهم في الجنة . وهو يوم المزيد لهم إذ دخلوا الجنة ، وهو عيد لهم في الدنيا . ويوم فيه يسعدهم الله تعالى بطلباتهم وحوالهم ولا يرؤ سائلهم ، وهذا كله بما عرفوه وحصل لهم بسببه وعلى يده ، فبمن شكره وحمده وأداء القليل من حقه ﷺ أن يُكثر من الصلاة عليه في هذا اليوم وبيته » .

صلى الله عليك يا علم الهدى ، ما هبت نسائم ، وما ناحت على الأيكة الحمام .

شعر<sup>(١)</sup> :

أعزُّ ، عليه للنبوة حسانتهم  
وضمَّ الإله اسم النبي إلى اسمه  
وشقَّ له مِن اسمه ليُجلِّسه  
نبيُّ أنانا نَعُدُّ بأسٍ وقسرة  
فأمسى سراجاً مُبيراً وهادياً  
وأندرتنا ثاراً ، وبشَّرَ جنَّةً  
وأنتَ إلهُ الخلقِ ربي وخالقِي  
تعاليتَ ربَّ الناسِ عن قولٍ من دَعَا  
لك الخلقُ والنعماءُ والأمرُ كلُّه

### ١٣ - قراءة سورة الكهف

أن يقرأ سورة الكهف في ليلتها أو يومها لقوله ﷺ : « مَنْ قرأ سورة كهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين » رواه الحاكم وصححه .  
وقال الصحابي أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : « مَنْ قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق » .

رواه الإمام سعيد بن منصور في سننه  
ويُستحب أن يُكْرَم من قراءة القرآن في يوم الجمعة ، وأن ينام فيه أو في ليلة الجمعة إن قدر .

### ١٤ - التصدق في يوم الجمعة

أن يتصدق في يوم الجمعة بما أمكن ، ولتكن صدقته خارج المسجد .

(١) حسان بن ثابت رضي الله عنه .

قال ابن القيم في الزاد : « للصدقة فيه مزية عليها في سائر الأيام ، والصدقة فيه بالنسبة إلى سائر أيام الأسبوع كالصدقة في شهر رمضان بالنسبة إلى سائر الشهور » .

لم قال : « وشاهدت شيخ الإسلام بن تيمية قدس الله روحه إذا خرج إلى الجمعة يأخذ ما وجد في البيت من خير أو غيره فيتصدق به في طريقه سراً . وسعته يقول : إذا كان الله قد أمرنا بالصدقة بين يدي مناجاة رسول الله ﷺ فالصدقة بين يدي مناجاته أفضل وأزلى بالفضيلة » .

وقال أحمد بن زهير بن حرب : حدثنا أبي حدثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس قال : « اجتمع أبو هريرة وكعب ، فقال أبو هريرة : إن في الجمعة ساعة لا يوافقها رجل مسلم في صلاة يسأل الله عز وجل شيئاً إلا آتاه إياه . فقال كعب : أنا أحدثكم عن يوم الجمعة ، إنه إذا كان يوم الجمعة فرعت له السموات والأرض والنور والبحر والجدل والشجر والحلائق كلها إلا بن آدم والشياطين . وحفَّت الملائكة بأبواب المسجد فيكتبون من جاء الأول فالأول حتى يخرج الإمام ، فإذا خرج الإمام فذُوروا صحفهم ، فمن جاء بعد ذلك جاء لجزء الصلاة وما كتب له عمل ، وحلَّ على كل جزء أن يغتسل يومئذ كاعتساله من جنابة ، والصدقة فيه أعظم من الصدقة في سائر الأيام ، ولم تطلع الشمس ولم تعرب على مثل يوم الجمعة . فقال ابن عباس : هذا حديث كعب وأبي هريرة ، وأرى إن كان لأهله طيبٌ يُحْسِنُ منه » والحديث من عنه علماء الحديث : إسناده صحيح .

### ١٥ - استحباب التفرغ لأعمال الآخرة

يُستحب أن يُخَلَّع يوم الجمعة لأعمال الآخرة ، ويُكفَّ عن جميع أشغال الدنيا . فإنه سبحانه وتعالى جعل لأهل كل بلدة يوماً يتفرغون فيه للعبادة ، ويتخلَّون فيه عن أشغال الدنيا ، فهو الجمعة يوم عبادة ، وهو في الأيام كشهر رمضان في الشهور ، وساعة الإجابة فيه كليلة القدر في رمضان .

ولهذا مَنْ صَحَّ له يوم جمعه وسَلِمَ سلمت له سائر جمعه ، ومَنْ صَحَّ له رمضان وسَلِمَ سلمت له سائر سنته ، ومَنْ صَحَّت له حجته وسلمت له صَحَّ له سائر عمره ، فيوم الجمعة ميزان الأسبوع ، ورمضان ميزان العام ، والحج ميزان العمر .

قال آدم بن أبي إياس : حدثنا شيبان أبو معاوية عن عاصم بن أبي النجود عن أبي صالح عن كعب الأحبار قال : « إن الله عز وجل اختار شهور واختار شهر رمضان ، واختار الأيام واختار يوم الجمعة ، واختار الليالي واختار ليلة القدر ، واختار الساعات واختار ساعة الصلاة ، والجمعة تُكفِّر ما بيننا وبين الجمعة الأخرى وتزيد ثلاثاً ، ورمضان يُكفِّر ما بينه وبين رمضان . والحج يُكفِّر ما بينه وبين الحج ، والعمرة تُكفِّر ما بيننا وبين العمرة ، ويموت الرجل بين حستين : حسنة قضاها ، وحسنة ينتظرها ... » الحديث .

شعر (١) :

عليكم بتقوى الله لا تتركوها  
لياسُ التقى خَيْرُ الملابس كلها  
فَمَا أَحْسَنَ التقوى وَأَعْدَى سَبِيلِهَا  
فَمَا أَثَمَّ الإنسانُ بَادِرٌ إِلَى التقى  
وَأَكْثَرَ مِنَ التقوى لِتَحْمَدِ عَلَيْهَا  
وَقَدْةً لِمَا تَقْدُمُ عَلَيْهِ فَإِنَّهَا  
وَأَحْسِنُ وَلَا تُهْمِلُ إِذَا كُنْتَ قَادِرًا  
وَأَذْ فُرُوضِ الدِّينِ وَاتَّقِنُ أَدَائَهَا  
وَسَارِعٌ إِلَى الخَيْرَاتِ لَا تُهْمِلْهَا  
وَلَكِنْ سَتَجِزَى بِالذِي أَنْتَ عَامِلٌ  
وَلَا تُنْهَكِ الدُّنْيَا فَرْطُكَ ضَامِنٌ

فَإِنَّ التقى أَقْوَى وَأَوْلَى وَأَعْدَلُ  
وَأُنْهَى لِیَاسًا فِي الوُجُودِ وَأَجْمَلُ  
بِهَا يَنْفَعُ الإنسانَ مَا كَانَ يَعْمَلُ  
وَسَارِعٌ إِلَى الخَيْرَاتِ مَا دُمْتَ مُهْمِلٌ  
بِدَارِ الخِرَاءِ دَرَّ سَوْفَ تَسْرُلُ  
عَدَا سَوْفَ تُجِزَى الَّذِي سَوْفَ تَعْمَلُ  
فَدَارُ بَنِي الدُّنْيَا مَكَانُ التَّرْحُلِ  
كَوَامِلٌ فِي أَوْقَاتِهَا وَالتَّنْفُلِ  
فَإِنَّكَ إِذْ أَهْمَلْتَ مَا أَنْتَ مُهْمِلٌ  
وَعَنْ مَا مَضَى عَنْ كُلِّ شَيْءٍ سَسْأَلُ  
يُرْزِقُ بِرِیَاقًا ضَامِنٌ مُتَكَفِّلُ

(١) من كتاب « المناهل الحسان » للشيخ عبد العزيز أحمد السلمان .

وَدُنْيَاكَ فَاعْبُرْهَا وَأُخْرَكَ زِدْ لَهَا  
فَمَنْ تَرَ الدُّنْيَا جَهَنَّمَ وَمَنْ يَبِغِ  
وَسَدَّهَا وَالجَاهُ والعِزُّ والغنى  
فَمَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا وَإِنْ طَالَ عَمْرُهُ  
وَيَسْرُلُ ذَارًا لَا أُنْبِئُ كَهَ بِهَا  
وَيَسْقَى زَهْنًا بِالتَّرَابِ بِمَا حَتَّى  
يُهَالُ بِأَهْوَالٍ يَسْتَسْبِ بِعَضِبِهَا  
وَيُتَعَبُ بَعْدَ النُّوْتِ لَشَرِّ سَحَابِهَا  
وَحَشْرٌ يَسْبِ الطُّغْلُ بِشُهُ لَهْوِهَا  
وَنَارٌ تَلْطِقُ فِي لَطَاهَا سِلَاسِلُ  
شَرَابٌ قَدْوَى الإِجْرَامِ فِيهَا حَمِيمُهَا  
حَمِيمٌ وَعَسْفٌ وَأَحْرٌ بِشُهُ  
بِرَبِّهِ هَوَانًا مِنْ هَذَاهَا وَلَا يَبْرُ  
وَفِي نَارِهِ يَقِي دَوَامًا مُعْدِيًا  
عَنْبِ صِرَاطٍ مُذْخَضٍ وَمَسْرَّةٍ  
وَفِيهِ كَلَابِيبٌ تُعَلِّقُ بِالسُّورَى  
فَلَا تُدْبِ بِقَدِيمِهِ مَا يُفْتَدِي بِهِ  
فَهَذَا جِرَاءُ خَرِيمٍ عَلَى الرَّذَى  
أَعْوَدُ بِرَبِّي مِنْ لَضَى وَعَذَابِهَا  
وَمِنْ حَالٍ مَنْ فِي زَمَانِهِمْ مُعْدَتٌ  
وَجَدْتُ عَذْبٌ زُحْرَفَتْ ثُمَّ رُيْنَتْ  
بِهَا كَلٌّ مَا تُهْوَى النَّمُوسُ وَتَسْتَهَبِي  
مَلَابِسُهُ فِيهَا حَرِيرٌ وَسُنْدُسٌ  
وَمَا كُورُهُمْ مِنْ كُلِّ مَا يَشْتَهَوْنَهُ  
وَأَزْرَجُهُمْ حُورٌ حَسَنٌ كَوَاعِثُ

عَمْرًا وَإِشَارًا إِذْ كُنْتَ تُعْفَلُ  
لِأَحْرَاهُ بِالدُّنْيَا أَضَلُّ وَأَجْهَلُ  
بِأَضْدَادِهَا عَمَّا قَلِيلٍ تَبْدُلُ  
فَلَا بُدَّ عَنْهَا رَاغِبًا سَوْفَ يُفْقَلُ  
لَكُلِّ السُّورَى مِنْهُمْ مَعَادٌ وَمَوْجَلُ  
إِلَى بَغْيِهِ مِنْ أَرْضِهِ جِوْنٌ يَسْبَلُ  
وَلَا هَوْلٌ إِلَّا بَعْدَهُ أَضْوَلُ أَهْوَلُ  
وَمِيرَانٌ قَسِطٌ طَائِشٌ أَوْ مُتَقَلُّ  
وَمَنْهُ الْجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ تَرْزُلُ  
يُغْلُ بِهَا الفُجَّارُ ثُمَّ يُسَلْسَلُ  
وَرَقُومُهَا تَطْفَعُهُمْ جِوْنٌ يُؤَكْرُ  
مِنْ لُحْلٍ يَغْلِي فِي البَطُونِ وَيَسْعَلُ  
إِلَى قَعْرِهَا يُهْوَى دَوَامًا وَيَسْرُلُ  
يَصْبِغُ نُبْرًا وَبِحَجَّةٍ بِسَوْوَلُ  
عَلَيْهِ التَّوْبَاتُ فِي القِيَامَةِ تُحْمَلُ  
فَهَذَا نَحْمًا مِنْهَا وَهَذَا مُخْرَدُ  
وَإِنْ تَعْتَذِرُ يَوْمًا فَلَا تُعْتَذِرُ بِسَلُ  
وَهَذَا الَّذِي يَوْمَ القِيَامَةِ يَخْصَلُ  
وَمِنْ حَالٍ مَنْ يُهْوَى بِهَا يَتَجَدَّلُ  
وَمَنْ كَانَ فِي الأَغْلَالِ فِيهَا مُكْبَلُ  
يَقْدِرُ عَلَى التقوى دَوَامًا تَيْبَلُ  
وَقَدْةً عَيْنٍ لَيْسَ عَنْهَا تَرْحُلُ  
وَاسْتَبْرَقُ لَا يُغْتَرِبُهُ التَّحْلُلُ  
وَمِنْ سَلْسِيلِ شُرْبُهُمْ يَسْتَسَلُ  
عَلَى بِئْرِ شَكْلِ الشَّمْسِ بِلْ هَرِّ شَكْلُ

## الفصل الخامس

### خطبة الجمعة

#### أولاً: أحكامها . أركانها . آدابها

##### حكيمها

ذهب جمهور أهل العلم إلى وجوب خطبة الجمعة ، واستدلوا على الوجوب بما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم بالأحاديث الصحيحة ثبوتاً مستمراً أنه كان يخطب في كل جمعة ، واستدلوا أيضاً بقوله صلى الله عليه وسلم : « صلُّوا كما رأيتموني أصلي » . وقول الله تعالى : ﴿ فَاسْتَعِزُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ ( جمعة : ٤ ) ، وهذا أمر بالسعي إلى الذكر فيكون واجباً ، لأنه لا يجب السعي لغير الواجب ، وفسرُوا الذكر بالخطبة لاشتغالها عليه .

ولم يخالف في ذلك إلا الحسن البصري وداود الظاهري ومن تبعه . فقد ذهبوا إلى أنها مندوبة فقط ، وإليه ذهب ابن حزم والشوكاني في نيل الأضرار .

والقول الراجح والنصوري هو قول الأئمة الأربعة وجمهور أهل السنة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يترك خطبة الجمعة في حال ، وقد قال كما في صحيح البخاري : « صلُّوا كما رأيتموني أصلي » فصلاة الجمعة مأمور أن تكون على الهيئة التي صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون المهديون من بعده ومن تبعهم بحسان .

##### أركان الخطبة

أخرج مسلم عن جابر بن سمرة قال : « كانت للنبي صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما ، يقرأ القرآن ويذكر الناس » .

يُطَافُ عَلَيْهِم بِالَّذِي يَشْتَهُونَهُ  
فَوَاكِهَهَا تَذْنُو إِلَى مَنْ يُرِيدَهَا  
وَأَهَارَهَا الْأَبْيَانُ تَجْرِي وَأَعْلَى  
بِهَا كُلُّ أَنْوَاعِ الْفَوَاكِهِ كُلِّهَا  
يُقَالُ لَهُمْ طِبْتُمْ سَلِمْتُمْ مِنَ الْأَذَى  
بِأَسْبَابِ تَقْوَى اللَّهِ وَالْعَمَلِ الَّذِي  
إِذَا كَانَ هَذَا وَالَّذِي قَبْلَهُ الْجَزَاءُ  
وَحَقُّ عَلَى مَنْ كَانَ بِاللَّهِ مُؤْمِنًا  
وَأَنْ يَأْخُذَ الْإِنْسَانُ زَادًا مِنَ النَّقَى  
وَأَنْ أَمَامَ النَّاسِ حَشْرًا وَمَرْقَفًا  
فَيَا لَكَ مِنْ يَوْمٍ عَلَى كُلِّ مُبْطِلٍ  
نَكُونُ بِهِ الْأَطْوَادُ كَالْعِهْنِ أَوْ نَكُنْ  
بِهِ مِثْلُ الْإِسْلَامِ تُقْبَلُ وَحِذَاهَا  
بِهِ يُسْأَلُونَ النَّاسُ مَاذَا عِبَدْتُمُو  
حِسَابُ الَّذِي يَتَّقَادُ عَرْضُ مُخَفَّفٍ  
أَعُوذُ بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ سُوءِ صُنْعِنَا  
بِهِ قَلْبَتِي عَلَى دِينِكَ الَّذِي  
وَقَبَّ لِي مِنَ الْفَرْدُوسِ قَصْرًا مُشِيدًا  
وَاللَّهُ حَمْدٌ دَائِمٌ بِدَاوِمِهِ  
تَزِيدُ عَلَى وَزْنِ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا  
وَأَلَى بِحَمْدِ اللَّهِ فِي الْحَمْدِ أَبْتَدِي  
صَلَاةً وَتَسْلِيمًا وَأُزَكِّي نِعْمَةَ  
وَأُزَكِّي صَلَاةَ اللَّهِ لَمْ سَلَامُهُ

إِذَا أَكَلُوا نَوْعًا بَآخَرَ يَتَذَلُّوا  
وَسُكَّانَهَا مَهْمَا تَمَنَّوَهُ يَخْصُلُ  
تَنَاوُئُهَا عِنْدَ الْإِرَادَةِ يَنْهَلُ  
وَيَحْمَرُّ وَمَاءٌ سُنْسِيلٌ مُنْقَلُ  
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِالسَّلَامَةِ فَادْخَلُوا  
يُحِبُّ إِلَى جَنَابِ عَذْبٍ تَوْصَلُوا  
فَحَقُّ عَلَى الْعَيْنَيْنِ بِالذَّمْعِ تَهْمَلُ  
يُقَدِّمُ لَهُ خَيْرًا وَلَا يَتَعَلَّلُ  
وَلَا يَسْأَأُ التَّقْوَى وَلَا يَتَمَلَّلُ  
وَبِزْمًا طَوِيلًا أَلْفَ عَامٍ وَأَطْوَلَ  
فَضِيحٌ وَهُوَ أَلِ الْقِيَامَةِ تُغْضِلُ  
كَيْسًا نَهِيلاً هَيْلًا يَنْهَلُ  
وَلَا غَيْرُهُ مِنْ نَبِيٍّ دِينٍ نَيْفَلُ  
وَمَاذَا أَحْبَبْتُمْ مَنْ دَعَا وَهُوَ مُرْسَلُ  
وَمَنْ لَيْسَ مُتَّقَادًا حِسَابُ مُنْقَلُ  
وَأَسْأَلُكَ تَنْبِيْهُ أَحْسَرَى وَأَوَّلُ  
رَضِيْتُمْ بِهِ دِينًا وَإِيَّاهُ تَقْبَلُ  
وَمَنْ يَخْبِرْتُمْ بِهَا أُنْعَمَلُ  
مَدَى الدَّهْرِ لَا يَفْتَى وَلَا الْحَمْدُ بِكَمَلُ  
وَأَرْجِحُ مِنْ وَزْنِ الْجَمِيعِ وَأَنْقَلُ  
وَأُنْهِى بِحَمْدِ اللَّهِ قَوْلِي وَأُنْشِدِي  
تُعْمُ جَمِيعَ الْعَرَسِيِّينَ وَتَشْمَلُ  
عَلَى الْمُصْطَفَى أُزَكِّي الْبِرَّةَ تَنْزِلُ

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب يوم الجمعة لم يجلس ، لم يقوم فيخطب مثل ما تفعلون اليوم أخرجه البخاري ومسلم .

قال البيهقي رحمه الله في شرح السنة : « خطبة الجمعة فريضة ، وقيام في الخطبتين والقعود بينهما فرض ، إلا أن يعجز بقعد ، وجوز بعضهم الخطبة قاعداً » .

وقال ابن حجر في الفتح : « قال ابن المنذر : الذي حمل عليه جل أهل العلم من علماء الأمصار ذلك ، أي الخطبة قائماً . ونقل غيره عن أبي حنيفة في الخطبة أنها سنة وليس بواجب ، وعن مالك رواية أن القيام واجب ، فإن تركه أساء وصححت صلاته . وجمهور أهل العلم أن القيام في الخطبة يشترط للقادر كالصلاة . »

وذهب الشافعية - كما في المجموع للنووي - إلى أن تقدم خطبتين شرط لصحة صلاة الجمعة ، لحديث : « صلوا كما رأيتموني أصلي » ولم يصل الرسول الجمعة إلا بخطبتين ، ولما في الصحيحين من حديث ابن عمر : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة خطبتين يجلس بينهما » .

ويجب في كل منهما حمد الله تعالى والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والوصية بتقوى الله واجتناب معصيته ، ويجب قراءة آية من القرآن في إحدى الخطبتين على ما ذكره الشافعي في الأم ، ويستحب كونها في الأولى ، والدعاء للمؤمنين والمؤمنات في الثانية أهـ ملخصاً .

وذهب الحنابلة - كما في المغني - إلى أنه يشترط للجمعة خطبتان لأيهما أقيمتا مقام الركعتين ، فكل خطبة مكان ركعة والإخلال بإحدهما كالإخلال بإحدى الركعتين ، ويشترط فيهما حمد الله تعالى والصلاة على رسوله والوعظة ، وقيل بوجودها في الثانية ، وأما قراءة آية من القرآن فليل شرط لكل وحدة من الخطبتين ، وقيل في إحدهما . ويستحب الدعاء للمؤمنين والمؤمنات أهـ ملخصاً .

وذهب المالكية - كما في الشرح الصغير والكبير - إلى أن الخطبتين شرط لصحة الجمعة قبلها في المشهور ، فلو ترك إحداها لم تصح الصلاة .

أما الحنفية فقد ذهبوا إلى أن الخطبة شرط لصحة الجمعة ، كما بيئناه سابقاً . والسنة أن يخطب الإمام خطبتين حنفيين ، يفتح أولهما بحمد الله والثناء عليه والشهادة والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يعظ الناس ويذكرهم ، ويقرأ سورة ، ثم يجلس جلسة خفيفة ، ثم يقوم فيخطب الخطبة الثانية : بحمد الله تعالى فيها ويشي عليه ويصلي على رسوله ويدعو للمؤمنين والمؤمنات . وقد درج المسلمون على ذلك في جميع الأعصار تبعاً لسنة المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

### الجلوس بين الخطبتين

قال بوجوب الجلوس بين الخطبتين الإمام الشافعي وأحمد . وذهب ابن قدامة صاحب كتاب ( المغني ) إلى عدم وجوبها وقال : لم يوجبها أكثر أهل العلم ، لأنها جلسة ليس فيها ذكر مشروع فله تجب .

أما قدر هذه الجلسة قال العلماء : تُفتر حسنة الاستراحة بقدر ما يقرأ سورة لإخلاص . ونالوا في حكمها : للفصل بين الخطبتين أو للراحة .

### الخطبة باللغة العربية الفصحى

شرعت حصة جمعة لتوعظ والتذكير وإرشاد الأمة إلى ما فيه خيرها من دين ولدتيا . ولا يتم ذلك على الوجه الأكمل إلا إذا كانت باللغة العربية التي تفهم بها حسوس ، وتنبأ مشاعر ، وتتحرك أوتار قلوب . وكما كان الخطيب أفصح بياناً ، وأبلغ مقالاً ، وأجزل كلاماً ، وأحكم أسلوباً ، كان أشد للنفوس أسراً ، ولقلوب امتلاكاً . وللأصمخ استراحة .

قال النووي : « السنة في خطبة أن تكون باللغة الفصحى ، بليغة مرثية مبيته من غير تمطيط ولا تعبير ، وأن لا تكون ألفظها مبتذلة ملتفة ، فإنها لا تنفع في النفوس موقعاً كاملاً ، وأن لا تكون وحشية لأنه لا يحصل مقصودها ، بل تختار لها ألفاظ خزلة مفهومة ، وتكره الكلمات المشتركة ( أي التي تحتل معاني مختلفة ) والبعيدة عن الأفهام وما يكبد عقول الحاضرين أهـ . »

وقال ابن قدامة الخنيلي : « ويستحب أن يكون الخطيب في خطبته مترسلاً  
مُهَيَّباً مُعْرَباً ، لا يُعْجَلُ فيها ولا يَقْطَعُهَا » اهـ .

وقال الشوكاني : « يُسْتَحَبُّ لِلْخَطِيبِ أَنْ يُفَحِّمَ أَمْرَ الْخُطْبَةِ ، وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ ،  
وَيُجْزِلُ كَلَامَهُ » اهـ .

فهذه أقوال جماهير الأئمة من الشافعية والحنابلة وغيرهم ، فيما يُسَنُّ أن تكون  
عليه خطبة الجمعة .

وذهب الإمامان أبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحبنا الإمام أبي حنيفة رضي  
الله عنهما إلى أن الخطبة في حالة العجز عن العربية ( أي من الخطيب والسامعين )  
تكون بلغة أخرى وهي التي يفهمها السامعون ، بخلاف حالة القدرة على العربية ،  
فإنه يُشترط أن تكون الخطبة بها .

ولا شك أن فيما ذهبوا إليه تسيراً على الناس وتوفيقاً حسناً ، ورعايةً لساائر الشعوب  
الإسلامية على اختلاف لغاتها ، وتحقيقاً لحكمة الشارع في تشريع خطبة الجمعة  
لجماعة المسلمين . ومن أجل هذا ينبغي أن نُحْمَلْ عبارات النووي وابن قدامة  
وأضربهما على ما إذا كانت الجماعة والخطيب من الشعوب التي تعرف العربية .

والخلاصة من ذلك أن الخطبة في بلادنا تكون باللغة الفصحى لا العامية ،  
وفي الشعوب غير العربية تكون بلغاتها المعروفة . فمن العيب أن يُلْزَمُوا بِسَمَاعِ  
الخطبة من خطيبهم باللغة العربية وهم لا يفقهونها ، ومن الخير لهم الذي قصده  
الشارع بخطبة الجمعة أن تكون باللغة التي يفهمونها ويدركون معانيها ، وإن كان  
عليهم أن يتعلموا لغة القرآن ليقفوا عليه ، وينهلوا منه ، ويستقوا من معينه ، إذ  
لا يمكن فهم مراميه والإحاطة بمعانيه إلا بلغته التي نزل بها ، وهو دستور  
الإسلام ، وإليه المرجع في الأحكام .

### هدى النبي ﷺ في خطبة الجمعة

لم تكن خطبة النبي ﷺ تقليدية ، لا حياة فيها ولا روح ، ولا رسالة فيها  
ولا توجيه ، بل كانت متصلة بالحياة وبالواقع كل الاتصال ، يقول جابر بن

عبد الله رضي الله عنه : « كان النبي ﷺ إذا خطب احمرت عيناه ، وعلا صوت ،  
واشد غضبه حتى كأنه منذر جيش ، يقول صَبِّحْكُمْ وَمَسَاءَكُمْ » رواه مسلم .

قال النووي في شرح هذا الحديث : « يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ لِلْخَطِيبِ أَنْ  
يُفَحِّمَ أَمْرَ الْخُطْبَةِ ، وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ ، وَيُجْزِلُ كَلَامَهُ ، وَيَكُونُ مُطَابِقاً لِلْمَفْصَلِ إِلَى  
يَتَكَلَّمُ فِيهِ مِنْ تَرْغِيبٍ أَوْ تَرْهيبٍ ، وَلَعَلَّ اشْتِدَادَ غَضَبِهِ ﷺ كَانَ عِنْدَ إِذْكَارِهِ مَرَأً  
عَظِيماً وَتَحْذِيرِهِ خَطْباً جَسِماً » .

قال العلامة ابن القيم في ( زاد المعاد ) : « وكان يعلم أصحابه في خطبته قواعد  
الإسلام وشرائعه ، وكان يأمرهم وينهاهم في خطبته إذا عرض له أمر أو نهي » .

ويقول منتقداً للخطباء المتأخرين : « لم طال العهد ، وغطى نور النبوة ،  
وصارت الشرائع والأوامر رسوماً تُقَامُ في غير مراعاة حقائقها ومقاصدها ،  
فأعطوها صورها ، وزينوها بما زينوها به فجعلوا الرسوم والأوضاع سنناً لا ينبغي  
الإخلال بها ، وأخلوا بالمقاصد التي لا ينبغي الإخلال بها ، فرسعوا الخسف  
بالتسجيع والفقر وعلم البديع ، فنقص بل عدم حظ القلوب منها ، وفات المقصود  
بها » .

ورغم أن خطبة ﷺ كانت واقعية دقيقة بالحياة والنور والتأثير ، لم تكن صريحة  
مملة ، شأن خطباء الجوامع اليوم ومحاضرتهم الطويلة ، التي يتبارون فيها ،  
ويتناولون فيها المساحات الضخمة المؤنفة ، التي تقبل المناقشة والجدل الكبير ، وتثير  
إنكار كثير من المستمعين وامتعاضهم ، وتنفذ الخطب والجوامع قدسها وحلاها  
ونزاهتها - بل كانت كسائر كلامه قولاً فضلاً ، لا فضول فيه ولا تقصير .

يقول جابر بن سمرة رضي الله عنه : « كانت صلاة النبي ﷺ قَصْدًا ،  
وخطبته قَصْدًا ، يقرأ آيات من القرآن ويذكر الناس » رواه مسلم وأصحاب السنن .

وفي رواية لمسلم : « كان ﷺ لا يطيل الموعظة يوم الجمعة ، إنما هن كلمات  
يسيرات » .

وكان ﷺ يقول : « إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه ،  
فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة » رواه مسلم عن عمار .



معنى « مثنة » أى علامة ومعناه : أن هذا مما يُستدل به على فقه الرجل .  
 قال البيهقي ( شرح السنة ) : « السنة للإمام أن لا يطيل الخطبة . وقال  
 الشافعي : ويكون كلامه قصداً بليغاً جامعاً . وأقل ما يقع عليه اسم الخطبة أن  
 يحمد الله ، ويصلى على النبي ﷺ ، ويوصي بتقوى الله تعالى » اهـ .

**وجوب الإنصات لخطبة الجمعة**

أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي  
 ﷺ قال : « إذا قلت لصاحبك أنصت يوم الجمعة والإمام يخطب فقد لغوت » .  
 وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ  
 توطئ فأحسن الوضوء ، لم أت الجمعة فاستمع وأنصت ، غُفر له ما بينه وبين  
 الجمعة وزيادة ثلاثة أيام ، ومَنْ مس الحصى فقد لغا » .

قال النووي في الحديث الأول : « في الحديث للنبى عن جميع أنواع الكلام  
 حال الخطبة ، ونبه بهذا وصماه لغواً ، فسيره من الكلام أوز . وقوله ﷺ : « مَنْ  
 مس الحصى فقد لغا » فيه النبى عن مس الحصى وغيره من أنواع العت في حالة  
 الخطبة ، وفيه إشارة إلى إقبال القلب والجوارح على الخطبة . والمراد باللغو هنا  
 الباطل المذموم المردود » .

قال ابن عبد البر في ( الاستذكار ) : « اتفق علماء الأئمة على وجوب  
 الإنصات للخطبة على مَنْ سمعها .  
 واختلف العلماء في وجوب الإنصات على مَنْ شهد الجمعة إذا لم يسمعها  
 لبعده عن الإمام » .

فذهب مالك والشافعي والنوري وأبو حنيفة وأصحابه والأوزاعي إلى أن  
 الكلام لا يجوز لكل مَنْ شهد الخطبة ، سمع أو لم يسمع . وقد كان عثمان بن عفان  
 رضى الله عنه يقول في خطبته : استمعوا وأنصتوا ، فإن أنصت الذى لا يسمع  
 له من الأجر مثل ما للمستمع الصامت .

وعن ابن عمر وابن عباس أنهما كانا يكرهان الكلام والصلاة بعد خروج  
 الإمام ، ولا يخالف هؤلاء من الصحابة .

وعن ابن جريح عن عطاء ، قال : يحرم الكلام ما كان الإمام على المنبر . وإن  
 كان قد ذهب إلى غير ذكر الله ، قال : ويوم عرفة والعيدين كذلك في الخطبة .  
 قال ابن جريح : قلت لعطاء : أسبغ وأهمل وأدعو الله في نفسى يوم الجمعة وأنا  
 أعقل الخطبة ؟ قال : لا . إلا الشئ اليسير ، واجعله بينك وبين نفسك . قلت  
 لعطاء : كنت لا أسمع الإمام أسبغ وأهمل وأدعو الله لنفسى وأهلى وأسئمتهم  
 بأسمائهم . قال : نعم .

هذا قول جمهور . وقال نخعي وأحمد وأحمد بن حنبل والشافعي : إذا لم يسمع  
 الإمام لا يلزمه الإنصات . والقول الأول هو الراجح ، والله أعلم » .

**حكم تشميت العاص ورد السلام حال الخطبة**

اختلف أهل العلم في تشميت العاص ورد السلام في الخطبة ، فقال مالك  
 وأصحابه : لا يرد السلام ولا يشمت العاص والإمام يخصب إلا أن يرد إشارة كما  
 يرد في الصلاة ، وهو قول أكثر أهل مدينة : منهم سعيد بن المسيب وعروة ،  
 وهذا قول أبي حنيفة وأصحابه فنوا : لا يرد السلام ولا يشمت العاص . وقال  
 الشافعي : لو سأل رجل لم يسمع الخطبة كرهت ذلك ورأيت أن يرد عليه  
 بعضهم ، لأن يرد السلام فرض . قال : أبو شامة غاطساً قد حمد الله رجوت أن  
 يسمعه فضله ، لأن التشميت سنة .

وقد روى عن أحمد : إذا لم يسمع الخطبة شمت ورد السلام ، وهو قول  
 عطاء .

وقال الصوري : « كان مؤمراً بالإنصات للخطبة كما هو مأثور بالإنصات  
 في الصلاة ، لا يشمت كما لا يشمت في الصلاة . قال : فإن قيل : رد السلام  
 فرض والصمت للخطبة سنة ، قيل له : الصمت فرض ، لأن الخطبة فرض ، وإنما  
 يصح بالخاطب والمخطوب عليهما » .

وقال ابن عبد البر : « الذي عليه أصحابنا أن الصمت فرض واجب بسنة النبي ﷺ ، وهي سنة مجتمع عليها معمول بها ، وقد أجمعوا أن من تكلم ولغا لا إعادة عليه للجمعة ولا يقال له صلها شهراً » اهـ .

وأما ما رواه ابن خزيمة من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً « ومن لغا ونخطى رقاب الناس كانت له ظهراً » فقد قال ابن وهب أحد رواة : معناه اجزأت عنه الصلاة وحرم فضيلة الجمعة .

### آداب الجلوس في المسجد يوم الجمعة والنهي عن التخطي إلا لحاجة

١ - عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يقيم أحدكم يوم الجمعة ثم يخالفه إلى مقعده ولكن يتقبل فسحوا » رواه أحمد ومسلم .

٢ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ « أنه نهى أن يُقام الرجل من مجلسه ويُجلس فيه ، ولكن تفسحوا وتوسعوا » . وفي رواية البخاري : « قلت لنافع : الجمعة ؟ قال : الجمعة وغيرها » منفذ عليه .

٣ - ولأحمد ومسلم : « كان ابن عمر إذا قام له رجل من مجلسه لم يجلس فيه » .

٤ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قام أحدكم من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به » رواه أحمد ومسلم .

« قال أصحاب الشافعي : إن ذلك على وجه السب لا على وجه الرجوب ، وإليه ذهب مالك . قال أصحاب الشافعي : ولا فرق في المسجد بين من قام وترك له سجادة فيه ونحوها وبين من لم يترك . قالوا : وإنما يكون أحق به في تلك الصلاة وحدها دون غيرها .

ولعل امتناع ابن عمر عن الجلوس في مجلس من قام له برضاه كان نورعاً منه ، لأنه ربما استحيا منه إنسان فقام له بدون طيبة من نفسه ، ولكن الظاهر أن من فعل ذلك قد أسقط حق نفسه ، وتجويز عدم طيبة نفسه بذلك بخلاف الظاهر .

وبكره الإتيار بمحل الفضيلة كالقيام من الصف الأول إلى الثاني ، لأن الإتيار وسلوك طرائق الآداب لا يبتز أن يكون في العبادات والفضائل ، بل المعهود أنه في حظوظ النفس وأمر الدنيا ، فمن أثر يحظه في أمر من أمور الآخرة فهو من الزاهدين في الثواب (١) .

٥ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا تمس أحدكم في مجلسه يوم الجمعة فليتحول إلى غيره » رواه أحمد والترمذي وصححه .

٦ - وعن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا تمس أحدكم يوم الجمعة فليتحول إلى مكان صاحبه ويتحول صاحبه مكانه » رواه الطبراني في الكبير والبيهقي والحكمة في الأمر بالتحول أن الحركة تذهب النعاس . ويحتمل أن الحكمة فيه انتقاله من المكان الذي أصابه فيه الغفلة بنومه ، وإن كان النائم لا حرج عليه ، فقد أمر النبي ﷺ في قصة نومهم عن صلاة الصبح في الوادي بالانتقال منه وقال ﷺ : « لقد حضرنا فيه الشيطان » .

٧ - وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال : « جاء رجل يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب ، فقال له رسول الله ﷺ : اجلس فقد آذيت » رواه أبو داود والبيهقي .

وفي رواية أحمد : « فقد آذيت وآيت » .

ومعنى « آذيت » يعني آذيت المنصنين بتخطيتك رقابهم .

ومعنى « آيت » يعني أيقظت وتحررت .

قال الشافعي : « أكره نخطى الرقاب يوم الجمعة قبل دخول الإمام وبعده ، لئلا فيه من سوء الأدب » .

وروى ابن القاسم عن الإمام مالك قال : « أكره التخطي إذا قعد الإمام على المنبر ، ولا بأس به قبل ذلك ، إذا كان بين يديه فرج » .  
(والفرج : السعة بين الاتنين) .

(١) نيل الأوطار ، للشوكاني - الجزء الثالث - ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

وقال ابن وهب مثل ذلك وزاد : « نَحَطُّ قَبْلَ خُرُوجِ الْإِمَامِ فِي رَمَقٍ » (١) .

### مَنْ دَخَلَ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ يَصَلِّي رَكْعَتَيْنِ تَحْتِ الْمَسْجِدِ

- أخرج البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله قال : « دخل رجل يوم الجمعة المسجد والنبي ﷺ يخطب ، فقال له : أصليت ؟ قال : لا . قال : فصل ركعتين » .

- وعن جابر قال : « جاء سُلَيْكُ العُصْفَانِي يوم الجمعة وهو يخطب فجلس ، فقال رسول الله ﷺ : إذا جاء أحدكم الجمعة والإمام يخطب فليصل ركعتين خفيفتين ، ثم يجلس » .

- وفي رواية : « إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوّزَ فيهما » رواه أحمد ومسلم وأبو داود .

- وفي رواية : « إذا جاء أحدكم يوم الجمعة وقد خرج الإمام فليصل ركعتين » متفق عليه .

قال الشوكاني في نيل الأوطار : « والأحاديث المذكورة تدل على مشروعيتها تحية المسجد حال الخطبة ، وإن ذلك ذهب أحمد والشافعي وأحمد وإسحاق ومكحول وأبو ثور وابن المنذر . وحكاها النووي عن مشيئة هذين » .

قال النووي في شرح مسلم : « هذه الأحاديث كلها سرية في الدلالة لمذهب الشافعي وأحمد وإسحاق وفقهاء حديثين أنه إذا دخل الجامع يوم الجمعة والإمام يخطب استحباب له أن يصلّي ركعتين تحية المسجد ، ويكره الجلوس قبل أن يصلّيها ، وأنه يستحب أن يتجوّزَ فيها لیسع بعدها الخطبة » .

قال القاضي : وقال مالك والبيهقي وأبو حنيفة والثوري : لا يصلّيها ، وتأولوا هذه الأحاديث أن سُلَيْكُ العُصْفَانِي كان عربياً فأمره النبي ﷺ بالقيام ليراه الناس

(١) الاستذكار ، لابن عبد البر .

ويتصنّفوا عليه ، وهذا تأويل باطل يرثه صريح قوله ﷺ : « إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوّزَ فيهما » وهذا نص صريح لا يتطرق إليه تأويل ، ولا أظن عالماً يبلغه هذا اللفظ صحيحاً فيخالفه . وفي هذه الأحاديث أيضاً - من الفقه - جواز الكلام في الخطبة لحاجة ، وفيها : جوازها للخطيب وغيره ، وفيها : الأمر بالعرف والإرشاد إلى المصالح في كل حال وموضع ، وفيها : أن تحية المسجد لا تفوت بالجلوس في حق جاهل حكمها . وقد أظن أصحابنا فواتها بالجلوس ، وهو محمول على العالم بأنها سنة ، أما الجاهل فيتداركها على قرب ، لهذا الحديث « اهـ » .

### كراهية رفع اليدين في الخطبة

أخرج مسلم عن حصين قال : سمعت عمارة بن روية ، وبشر بن مروان يخطب ، فرفع يديه في الدعاء ، فقال عمارة : قُبِحَ اللَّهُ هَاتَيْنِ الْيَدَيْنِ الْقَصِيرَتَيْنِ . لقد رأيت رسول الله ﷺ وما يزيد على أن يقول هكذا ، وأشار هشيم بالسبابة ( وهن من أحد رواة الحديث عن حصين ) .

وأخرج هذا الحديث أيضاً الإمام الترمذي : باب في كراهية رفع الأيدي عن المنبر .

قال النووي في شرح مسلم : « هذا فيه أن السنة ألا يرفع اليد في الخطبة ، وهو قول مالك وأصحابنا وغيرهم ، وحكى القاضي عن بعض السلف وبعض المالكية إباحته لأن النبي ﷺ رفع يديه في خطبة الجمعة حين استسقى . وأجاب الأولون بأن هذا الرفع كان لعارض » .

قال البيهقي رحمه الله : « ورؤي عن أنس : « بينا النبي ﷺ يخطب لي يوم الجمعة قام أعرابي فقال : يا رسول الله ، هلك المال ، وجاع العيال ، فاذع الله ، فرفع يديه ... » أخذت أخرجه البخاري .

- ورؤي عن أنس قال : « كان النبي ﷺ لا يرفع يديه في شيء من دعائه

إلا في الاستسقاء . وأنه يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه « أخرجه البخاري » .  
 قال رحمه الله : « رفع اليدين في الخطبة غير مشروع ، ولي الاستسقاء سنة ،  
 فإن استسقى في خطبة الجمعة يرفع يديه اقتداءً بالنبي ﷺ » .  
 وهو قول الإمام مالك رحمه الله ، كما ذكره الحافظ في الفتح .

## ثانياً : نماذج من خطب النبي ﷺ

لم يسمع لناس بعد القرآن الكريمة بكلام قط أعم نفعاً ، ولا أصدق لفظاً ،  
 ولا أعدل رزناً ، ولا أجمل مذهباً ، ولا أكرم مطلباً ، ولا أحسن موقعاً ،  
 ولا أفصح عن معناه ، ولا أبين عن فحواه ، من كلام سيدنا محمد ﷺ ، لأنه  
 الكلام الذي قلت حروفه ، وكثرت معناه ، وجلت عن الصنعة ، وتيزر عن  
 التكلف ، ولم ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، علمه شديد القوى .  
 والله ذو شوق إذ يقول :

وإذا حطبت فبئسنا بمر هرة نعره الندى وللقلوب بكاء

### أول خطبة بمكة يدعوهم إلى الإيمان

جمع قومه وحمد الله ، وأثنى عليه ثم قال : إن الرائد لا يكذب أهله ،  
 لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ، والله الذي لا إله إلا هو إلى رسول الله  
 إليكم خاصة ، وإلى الناس كافة . والله لتؤمنن كما تنامون ، وتستنقن كما  
 تستيقظون ، وتحدثين بما تعملون ، وتجزون بالإحسان إحساناً وبالسيء سيئاً .  
 وإياها نحنة أبدأ أو نثار أبدأ ، الحديث أخرجه ابن الأثير في الكامل .

### من أوائل خطبه بالمدينة المنورة

أخرج البيهقي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال :  
 كانت أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ بالمدينة أن قام فيهم ، فحمد الله وأثنى  
 عليه بما هو أهله ثم قال : « أما بعد ، أيها الناس ، فقدموا لأنفسكم ، فاعلمن والله

لِيَصْتَعْنَ (١) أَحَدَهُمْ ، لم يَدْعُنْ غَنَمَهُ لَيْسَ هَا رَاعٌ ، لم لَيَقُولُنْ لَهُ رَبُّهُ ، وليس له ترجمان ولا حاجب يحججه دونه : ألم يَأْتِكَ رَسُولِي فَبُلَغْتُكَ ، وَأَتَيْتُكَ مَالاً ، وَأَفْضَلْتُكَ عَلَيْكَ ؟ فَمَا قَدِمْتَ لِنَفْسِكَ ؟ فَيَنْظُرُ مَيْبِئاً وَهَمَلِئاً فَلَا يَرَى شَيْئاً ، لم ينظر قدامه فلا يرى غير جهنم ، لَمِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَفِيَّ وَجْهَهُ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَلَيَقْعَلُ ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ . فَإِنْ بِي تُجْزَى الْحَسَنَةُ عَشْرَ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضَعْفٍ ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

ثم خطب رسول الله ﷺ مرة أخرى فقال : « إن الحمد لله أحمدته وأستعنته ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . إن أحسن الحديث كتاب الله ، قد أفلح من زينته الله في قلبه ، وأدخله في الإسلام بعد الكفر ، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس ، إنه أحسن الحديث وأبلغه ، أجبوا من أحب الله ، أجبوا الله من كل قلوبكم ، ولا تعملوا كلام الله وذكره ، ولا تفسد عنه قلوبكم ، فإنه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفى ، فقد ساءه الله خيرته من الأعمال ، وخيرته من العباد . والصالح من الحديث ، ومن كل ما أوتيت الناس من الحلال والحرام ، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، واتقوه حق تقاته ، واصدقوا الله صالح ما تقولون . فواحكم ، وتحابوا بروج الله بينكم . إن الله بغضب أن يترك عهدته ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . »

### خطبته ﷺ في الجمعة

أخرج ابن جرير عن سعيد بن عبد الرحمن الجمحي أنه بلغه عن خطبة رسول الله ﷺ في أول جمعة صلأها بالمدينة في بني سالم بن عوف :

« الحمد لله ، أحمدته وأستعنته وأستغفره وأستهديه ، وأؤمن به ولا أكفره ، وأعادي من يكفره . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى والنور والمنعظة ، على قرة من الرسل ، وقلة من العلم ، (١) الصنع : أن يمشي على الإنسان من صوت شديد يسمعه ، لم استعمل في الموت كثيراً .

وضلائه من الناس ، وانقطاع من الزمان ، ودنو من الساعة ، وقرب من الأجل . من يبعث الله ورسوله فقد رشده ، ومن يحضه فقد غوى وهداه وضللاً ، بعيداً ، وأوصيكم بتقوى الله ، فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله ، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك تصبحة ولا أفضل من ذلك ذكر ، وأن تقوى الله لمن عمل به على خير وعافية من ربه عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة ، ومن يصلح الذي بين وبين الله من أمره في السر والعلانية ، لا ينوي بذلك إلا وجه الله ، يمكن له ذكر في عاجل أمره وذخراً فيما بعد الموت حين يفتر المرء إلى ما قدم ، وما كان من سوى ذلك يؤد لو أن بينه وبينه أمداً بعيداً . ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد ، والذي صدق قوله وأنجز وعده لا خلف لذلك ، فإنه يقول عز وجل : ﴿ مَا يُدُلُّ الْقَوْلُ لَدَيْ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ فاتقوا الله في عاجل أمركم وآخيه في السر والعلانية ، فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً ، ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً ، وإن تقوى الله توفى مقته ، وتوفى عقوبته ، وتوفى سخطه ، وإن تقوى الله تبيض الوجوه ، وترضى الرب ، وترفع الدرجة ، تحذر بحضركم ولا ترضوا في جنب الله ، قد علمكم الله كتابه ، وسبح لكم سيئته . ليؤمن الذين صدقوا ويؤمن الكاذبين ، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم ، وعادوا أعاده ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، هو اجتنبكم وسمواكم المسلمين ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ، ولا قوة إلا بالله ، فأكفروا ذكر الله واعتصموا لما بعد الموت ، فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ، ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه ، ويملك من الناس ولا يملكون منه ، الله أكبر ولا قوة إلا بالله .

قال الحافظ ابن كثير في البداية : هكذا أورده ابن جرير وفي السنن إرسال .

### خطبة عظيمة له ﷺ في استقبال شهر رمضان

أخرج ابن خزيمة عن سلمان رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ في

آخر يوم من شعبان ، قال : « يا أيها الناس ، قد أظلكم شهر عظيم مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، شهر جعل الله صيامه فريضة ، وقيام ليله تطوعاً ، مَنْ تقرب فيه بمخلصة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومَنْ أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يُزاد في رزق المؤمن فيه ، مَنْ فطَّر فيه صائماً كان مغفرةً لذنوبه وعتق رقبة من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء . قالوا : يا رسول الله ، ليس كلنا يجد ما يفتطر الصائم ، فقال رسول الله ﷺ : يعطى الله هذا الثواب مَنْ فطَّر صائماً على ثمرة أو على شربة ماء أو مَدَقَةَ لَبَنٍ . وهو شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار ، مَنْ حَفَّفَ عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار ، فاستكثروا فيه من أربع خصال ، يحصلن ترضون بهما ربكم ، وحصلت لا غنى بكم عنهما : فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه ، وأما الخصلتان اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة ، وتعوذون به من النار ، ومَنْ سقى صائماً سقاء الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة . »

### خطبته ﷺ في حجة الوداع

أخرج مسلم عن جابر بن عبد الله في صفة الحج وفيه : فأجاز رسول الله ﷺ حتى أتى عرفة ، فوجد القبّة قد ضربت له بنجرة فنزل بها ، حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له ، فأتى بطن الوادي فخطب الناس وقال : « إن دماءكم وأمواتكم حرام عليكم ، كحرمه يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أضعه من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث ، كان مسترضعاً في بني سعد قتلته هذيل . وربما الجاهلية موضوعة ، وأول ربا أضعه من ربانا ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوعة كله ، واتقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن أن لا يوطئن

رئسكم أحدًا تكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح . وكن عليكم زلفهن وكسومهن بالمعروف ، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا به إن اعتصمتم به : كتاب الله ، وأنتم تُسألون عنى فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت ونصحت وأدبت ، فقال بأصبعه السبابة يرفعهما إلى السماء وبكسب إلى الناس : اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، ثلاث مرات . »

وأخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم النحر فقال : « يا أيها الناس ، أي يوم هذا ؟ قالوا : يوم حرم ، قال : فأى بلد هذا ؟ قالوا : بلد حرام ، قال : فأى شهر هذا ؟ قالوا : شهر حرام ، قال : فإن دماءكم وأمواتكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمه يومكم هذا ، في بلدكم هذا ، في شهركم هذا . قال : فأعادها مراراً ، ثم رفع رأسه فقال : اللهم هل بلغت ؟ اللهم قد بلغت - قال ابن عباس : فوالذي نفسي بيده إنها توصيته إلى أمته ، فلبس الشاهد الغائب - لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض . »

وأخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع فقال : « قد يكس الشيطان بأن يُغَيِّد بأرضكم ، ولكنه رضي أن يقطع فيما سوى ذلك مما تحفرون من أعمالكم ، فاحذروا يا أيها الناس ، إن قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به قلن تضلوا أبداً : كتاب الله . وسنة نبيه ﷺ ، - كل مسلم أخ المسلم ، المسلمون إخوة ولا يحل لامرئٍ من مال أخيه إلا ما أعطاه عن جيب نفسه منه ، ولا تظلموا ولا ترجعوا من بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض . »

وأخرج أحمد في مسنده عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو يومئذ على الجذعاء واضع رجله في العز، يتصوّل لئسمع الناس ، فقال بأعلى صوته : « ألا تسمعون ؟ فقال رجل من طوائف الناس : يا رسول الله ، ماذا نُعَهِّدُ لِنِساءِنا ؟ فقال : اعبدوا ربكم ، وصلوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأطيعوا إذا أمركم ، تدخلوا الجنة ربكم . » وأخرجه الترمذي وقال : حسن صحيح .

وأخرج البيهقي عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : خطبنا رسول الله ﷺ في أوسط أيام التشريق خطبة الوداع فقال : « يا أيها الناس ، إن ربكم واحد ، وإن أبائكم واحد ، ألا لا فضل لعرفى على أعجمى ولا لأعجمى على عرفى ، ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر ، إلا بالتقوى ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ألا هل بلغت ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : فليبلغ الشاهد الغائب » .

ثالثاً : نماذج من خطب الصحابة رضى الله عنهم

١ - أبو بكر الصديق

خطبته رضى الله عنه لسمًا ولىّ الخِلافة

أخرج ابن سعد والبخاري وغيرهما عن عروة قال : لَمَّا وُلِّيَ أَبُو بَكْرٍ خُطِبَ النَّاسَ ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : « أَمَا بَعْدَ ، أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ وُئِدْتُ أَمْرَكُمْ وَسُئْتُ بِخَيْرِكُمْ ، وَنَكُنْ نَزَلَ الْقُرْآنُ ، وَسُنَّ النَّبِيُّ السَّنَنَ ، فَعَلَّمَنَا أَنْ أَكْبِرَ الْكَبِيرَ النَّشِئَ ، وَبِنَ أَحْمَقِ الْحَمَقِ الْفَجُورَ ، وَإِنْ أَقْوَامَكُمْ عِنْدِي الضَّعِيفَ حَتَّى آخِذَ مِنْهُ أَحَقُّ ، وَإِنْ أضعفكم عِنْدِي الْقَوِيَّ حَتَّى آخِذَ لَهُ الْحَقُّ . أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ أَنَا مُنْتَبِعٌ وَسُئْتُ بِمُنْتَدِعٍ ، فَإِنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي ، وَإِنْ زَعَجْتُ فَفَرِّمُونِي ، أَقُولُ لِرَبِّ هَذَا وَاسْتَغْفِرُ لَكُمْ » .

خطبة له رضى الله عنه فى التقوى والعمل الصالح

أخرج أبو نعيم فى الحلية عن عبد الله بن عكيم قال : خطبنا أبو بكر رضى الله عنه فقال : « أَمَا بَعْدَ ، فَإِنِ أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَنْ تَتَّبِعُوا عَلَيْهِ بِمَا هُوَ مِنْهُ أَهْلٌ ، وَأَنْ تَخْلُطُوا الرَّغْبَةَ بِالرَّهْبَةِ ، وَتَجْمَعُوا الْإِحْلَافَ <sup>(١)</sup> بِالسَّأَلَةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَسِيَ عَلَى زَكَرِيَّا وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ فَقَالَ : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَلْجَأُونَ رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا حَاشِيِينَ ﴾ ثُمَّ أَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ ارْتَمَى بِحَقِّهِ أَنْفُسَكُمْ ، وَأَخَذَ عَلَى ذَلِكَ مَوَائِقَكُمْ ، وَاشْتَرَى مِنْكُمْ الْقَلِيلَ الْفَاقِ بِالْكَثِيرِ

(١) الإلحاح .

## ٢ - عمر بن الخطاب

### خطبة لأمر المؤمنين عمر بن الخطاب حين ولي الخلافة

أخرج الدينوري عن الشعبي قال : لما ولي عمر بن الخطاب سعد بن زيد فقال : « ما كان الله ليبرأ أن أرى نفسي أهلاً لجلس أبي بكر ، فرب مزودة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : اقرعوا القرآن تُعْرَفُوا به . وعملوا به تكبروا من أهله ، وزنوا أنفسكم قبل أن تؤزنوا . وتزبنوا للعرض الأكبر يوم تُعْرَصُونَ على الله لا تخفى منكم خافية ، إنه لم يبلغ حق ذي حق أن يُصاع في معصية الله . ألا وإني أتركت نفسي من مال الله بمنزلة وليي اليتيم ، إن استغيث عفت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف . »

### خطبة له رضي الله عنه في نصيح الرعية وبيان حقها عليه

ذكر ابن جرير رضي الله عنه في تاريخه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب فقال بعد ما حمد الله وأثنى عليه وصل على النبي ﷺ : « أيها الناس ، إن بعض الظمع فقر ، وإن بعض اليأس غنى ، وإنكم تحسبون ما لا تكبرون ، وتؤمنون ما لا تدركون ، وأنتم مُؤَجَّلُونَ في دار غرور . كنه على عهد رسول الله ﷺ تُؤَخِّسُونَ بالوحي ، فمن أسر شيئاً أخذ بسريرته ، ومن أعلن شيئاً أخذ بعلايته ، وأظهروا لنا أحسن أخلاقكم والله أعلم بالسرير . فإنه من أظهر لنا شيئاً وزعم أن سريرته حسنة لم نصدقه ، ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسناً ، واعلموا أن بعض الشُّحِّ شعبة من النفاق ، فأنفقوا ﴿ خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ . »

أيها الناس أطيبوا مشاكنكم ، وأصلحوا أموركم ، واتقوا الله ربكم ، ولا تلبسوا نساءكم القباضي<sup>(١)</sup> فإنه إن لم يشيب فإنه يصيف .

(١) القباضي : جمع قبضية وهي ثياب مصرية رقيقة بيضاء .

الباقى ، وهذا كتاب الله فيكم لا تفتى عجائبه ، ولا يُطْفَأُ نوره ، فصدقوا قوله واتصحو كتابه ، واستبصروا فيه ليوم الظلمة . فإنما خلقكم للعبادة ، ووكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون ، ثم اعلموا عباد الله أنكم تُؤَدُّون وتروحون في أجل قد غُيِّب عنكم علمه ، فإن استطعتم أن تنقضى الآجال وأنتم في عمل لله فافعلوا ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله ، فسابقوا في مهل آجالكم قبل أن تنقضى آجالكم فبرؤكم إلى أسوأ أعمالكم ، فإن أقواماً جعلوا آجالهم لغيرهم ، ونسوا أنفسهم ، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم ، الوحا الوحا<sup>(١)</sup> ، النجاء النجاء ، إن وراءكم طالباً حثيثاً ، أمره سريع ، وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة وإحاكم والبيهقي بمثله .

وعند أحمد والنسائي وابن حبان وإحاكم عن أوس قال : خطبنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال : قام فينا رسول الله ﷺ مقامى هذا عام الأول . فقال : « سلوا الله العفو والعافية فإنه لم يُعْطَ أحد قط بعد اليقين أفضل من العافية ، وعليكم بالصدق فإنه مع البرِّ وهما في الجنة ، وإياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار . لا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تقاضعوا ، ولا تذازبوا ، وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله . »

### خطبة له في الترغيب على الجهاد في سبيل الله

أخرج ابن عساکر عن القاسم بن محمد حديثاً ، وذكر فيه : « وقام أبو بكر رضي الله عنه في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه وصل على رسول الله ﷺ وقال : إن لكل أمر جوامع ، فمن بلغها فهو حسبه ، ومن عمل لله عز وجل كفاه الله . عليكم بالجدِّ والصدق ، فإن القصد أبلغ ، ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له ، ولا أجر لمن لا حسنة له ، ولا عمل لمن لا نية له ، ألا وإن في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله لما ينبغي للمسلم أن يحب أن يُخَصَّ به ، هي النجاة التي دلَّ الله عليها ونجى بها من الخزي ، وأحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة . » وأخرجه ابن جرير الطبري عن القاسم بن محمد بمثله .

(١) الوحا الوحا : أى المبادرة والإسراع بالنجاة .



أيها الناس ، إني لو ووددت أن أنموت كفافاً لا لي ولا علي ، إني لأرجو إن عُمِّرت فيكم يسيراً أو كثيراً أن أعمل بالحق فيكم إن شاء الله ، وألا يفي أحد من المسلمين - وإن كان في بيته - إلا أناه حقه ونصيبه من مال الله ، ولا تعجل إليه نفسه ولم ينصب إليه يوماً ، وأصلحوا أموالكم التي رزقكم الله ، وأقلبوا في رفق خير من كثير في عنف ، وأقتل حنّفاً من الخنوف بصيب البر والفاجر ، والشهيد من احتسب نفسه ، وإذا أراد أحدكم بعبيراً فليعمد إلى الضويل العظيم فليضربه بغصاء ، فإن وجده حديد الفؤاد فليشتره .

### خطب له متفرقة رضى الله عنه

وأخرج البيهقي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول في خطبته : « أفلح منكم من حُفِظَ من الهوى والغضب والطمع ، ووُفِّقَ إلى الصدق في الحديث ، فإنه يجزه إلى الخير ، من يكذب بغير ، ومن يفسد بهلك ، وإياكم والفجور ، ما فجور من خلق من الشراب وإلى التراب يعود ؟ اليوم حى وغداً ميت ، اعملوا عمل يوم بيوم ، واجتنبوا دعوة الظلوم ، وعدوا أنفسكم من الموت . »

وأخرج البخارى في الأدب وابن خزيمة عن قبصة قال : سمعت عمر رضى الله عنه وهو يقول على المنبر : « من لا يرحم لا يرحم ، ومن لا يفر لا يفر له ، ومن لا يتوب لا يتب عليه ، ومن لا يتق لا يوقه . »

وأخرج أحمد عن علقمة بن وقاص الليثي أنه سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وهو يخطب الناس وهو يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنما العمل بالنية ، وإنما لامرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله وإلى رسوله فهجرته إلى الله وإلى رسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه . »

وأخرج ابن سعد عن سليمان بن يسار قال : خطب عمر بن الخطاب الناس في زمان الرمادة ، فقال : « أيها الناس ، اتقوا الله في أنفسكم ، وفيما غاب عن

الناس من أمركم ، فقد أثبت بكم وأثبتم لي ، فما أدرى السخطة على دينك أو عنيك دوني ، أو قد عنتى وعنتكم ، فهلموا فلندع الله ، يصلح قدره ، وأن يرحمنا ، وأن يرفع عنا الحبل ، قال : فرئى عمر يومئذ رافعاً يديه يدعو الله ، ودعا الناس ويكفي ، ويكفي الناس ملئاً ، ثم نزل .

### ٣ - عثمان بن عفان

#### خطبة لأمير المؤمنين عثمان بن عفان لما بويع بالخلافة

أخرج ابن سعد عن إبراهيم بن عبد الرحمن الخزومي أن عثمان رضى الله عنه لما بويع خرج إلى الناس فخطبهم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيها الناس ، إن أول مركب صعّب ، وإن بعد اليوم أياماً ، وإن أعش تأتكم الخطة عن وجهي ، وما كنا عطاء ، وسبحنا الله . »

#### خطبة له رضى الله عنه في الزهد والعمل للآخرة

أخرج ابن جرير الطبري في تاريخه من طريق سيف بن بدر بن عثمان عن عنه ، قال : لما بايع أهل الشورى عثمان خرج وهو أشد كآبة ، فأق منبر رسول الله ﷺ وقال : « إنكم في دار قلعة<sup>(١)</sup> ، وفي بقية أعمار ، فبادروا آجالكم خير ما تقدرون عليه ، فقد أتيت ، صحتهم أو مسيهم ، ألا وإن الدنيا طوبت عن الغرور ، اعتبروا بمن مضى ، ثم جدوا ولا تغفلوا ، فإنه لا يقفل عنكم . أيرأى الدنيا وإخوانها الذين ثاروها وعمروها ومثعوا بها طويلاً ؟ ألم تفلظهم ؟ وما بالدنيا حيث رمى الله بها ، وطلبوا الآخرة ، فإن الله قد ضرب لها مثلاً ، وسى هو خير ، فقال عز وجل : ﴿ واضرب لهم مثلاً الحياة الدنيا كماء أنزلناه من

(١) أى تحوّل وارتحال .

## ٤ - علي بن أبي طالب

### خطبته في فضل شهر رمضان

أخرج الحسين بن يحيى القنطان ، والبيهقي عن الشعبي قال : كان علي رضي الله عنه إذا حضر رمضان يقول : « هذا الشهر المبارك الذي فرض الله صيامه ولم يفرض قيامه ، لِيُخَدَّرَ رَجُلٌ أَنْ يَقُولَ أَصُومُ إِذَا صَامَ فُلَانٌ ، وَأَفْطَرَ إِذَا أَفْطَرَ فُلَانٌ ، أَلَا إِنَّ الصَّيَامَ لَيْسَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَلَكِنْ مِنَ الْكُذْبِ وَالظُّلْمِ وَالْكَفْرِ ، أَلَا لَا تَقْدُمُوا الشَّهْرَ ، إِذَا رَأَيْتُمُ الْهَلَالَ فَصُومُوا وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطَرُوا ، فَإِنَّ عَمَّ عَلَيْكُمْ فَأَتَمُّوا الْعِدَّةَ ... » .

### خطبة له رضي الله عنه في القبر وأهواله

أخرج الصديقي في المائتين وابن عساكر عن علي أنه نصب فحمد الله وأثنى عليه . وذكر موت فقال : « عباد الله ، والله الموت ليس منه موت ، إن قمتم أخذكم ، وإن فررتم منه أدرركم ، فالنجاة النجاة ، والوفا الوفا ، وراءكم صالبا حيث : الفير ، فاحذروا ضغطته وظلمته ووحشته ، ألا وإن القبر حفرة من حفر النار ، أو روضة من رياض الجنة ، ألا وإنه يتكلم في كل يوم ثلاث مرات ، فيقول : أنا بيت الظلمة ، أنا بيت الدود ، أنا بيت الوحشة ، ألا وإن وراء ذلك ما هو أشد منه ، نارٌ حُرِّها شديد ، وقعرها بعيد ، حُلِّها حديد ، وحازنها مالك ، ليس لله فيها رحمة ، ألا وإن وراء ذلك جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، جعلنا الله وإياكم من المتقين ، وأجارنا وإياكم من العذاب الأليم » .

وذكر ابن كثير في البداية هذه الخطبة عن الأصمغ بن نباتة قال : صعد علي رضي الله عنه ذات يوم المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر الموت - فذكر نحوه وزاد بعد قوله ( أنا بيت الوحشة ) : « ألا وإن وراء ذلك يوماً يشيب فيه

السَّمَاءُ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْوُهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا . الْمَالُ وَالْبُنُونُ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً » (الكهف : ٤٥ ، ٤٦) .

### خطبة في التحذير من اللعب بالترد

وأخرج البيهقي عن زيد بن الصلت أنه سمع عثمان وهو على المنبر يقول : « يا أيها الناس ، إياكم والميسر - يريد الترد - فإنها قد ذُكرت في أنها في بيوت ناس منكم ، فَمَنْ كَانَ فِي بَيْتِهِ فَلْيُخْرِجْهَا أَوْ يَكْسِرْهَا » .  
وقال عثمان مرة أخرى وهو على المنبر : « يا أيها الناس ، إني قد كلمتكم في هذا الترد ، ولم أركم قد أخرجتموها ، فلقد هممتُ أن أمر بحرق الخطب ، ثم أرسلت إلى بيوت الذين هن في بيوتهم فأحرقها عليهم » .

### آخر خطبة له رضي الله عنه

أخرج ابن جرير الطبري في تاريخه من طريق سيف بن سر بن عثمان عن عمه قال : آخر خطبة خطبها عثمان في جماعة : « إن لله عز وجل بما أعظاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يعظكموها لتتركوا إليها ، إن الدب تفتى والآخرة تبقى ، فلا تُبَطِّرَنَّكُمْ الْغَايَةَ وَلَا تَشْغَلَنَّكُمْ عَنِ الْبَاقِيَةِ ، فَأَثَرُوا مَا يَنْبَغِي عَنْ مَا يَنْبَغِي ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مَنقُطَةٌ ، وَإِنَّ الْمَصِيرَ إِلَى اللَّهِ . اتَّقُوا اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ ، فَإِنَّ تَقْوَاهُ جُنَّةٌ مِنْ بَأْسِهِ وَوَسِيلَةٌ عِنْدَهُ ، وَاحذَرُوا مِنَ اللَّهِ الْغَيِّرَ ، وَالزَّمُوا جَمَاعَتَكُمْ ، لَا تَصِيرُوا أَحْزَابًا » وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا » آل عمران : ١٠٣ .

(١) الترد : لعبة الطاولة .

## ٥ - عبد الله بن الزبير

### خطبته رضى الله عنهما في موسم الحج

أخرج الطبراني في الكبير عن محمد بن عبد الله الثقفي قال : شهدت حصة ابن الزبير بالموسم ، قال : ما شعرنا حتى خرج علينا قبل اتروية بيوم - وهو مُحرم - رجل كهيفه كهش جميل ، فأقبل فقالوا : هذا أمير المؤمنين . فزفق سر وعابه توبان أبيضان ، ثم سلم عليهم فردوا عليه السلام ، ثم لبس بأحسن نسبة سمعنا قط ، ثم حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : ( أما بعد ، فربكم جنتم من آفاق شتى وفرداً على الله تعالى ، فحفظ على الله أن يُكرم وفده ، فمن جاء يطلب ما عند الله فإن طالب الله لا يلبس ، فصَدَّقُوا قَوْلَكُمْ بفعل ، فإن ملاك القول الفعل ، والنية نية القلوب ، الله الله في بكم هذه ، فإنها أيام يُعَدُّ فيها الذنوب ، جنتم من آفاق شتى في غير تجارة ولا طلب مال ولا دنيا ترجون ههنا . ثم لبس وثى حسن ، ونكلم بكلام كثير ، ثم قال : أما بعد . فإن الله عز وجل قال في كتابه : ﴿ الْعَصِيَّ أَشَدَّ مَقْلُوبًا ﴾ قال : وهي ثلاث : شوال ودر القعدة وعشر من ذي الحجة ، ﴿ فَمَنْ لَزِمَ فِيهِنَّ الْعَصِيَّ فَلَا زَلَّتْ ﴾ لا جرم ، ﴿ وَلَا فَسُوفَ ﴾ لا سب ، ﴿ وَلَا جِدَالَ ﴾ لا براء ، ﴿ وَمَا تَلَّوْا مِنْ عِبَرٍ يُفَلِّمُهُ اللَّهُ وَتَرُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الْإِنْسَانِ الَّذِي كَلِمَاتُهَا الْحَسَنُ ﴾ . وقال عز وجل : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَسْفُحُوا مَالَكُمْ بَيْنَ رِيكِمَ ﴾ فأحل من التجارة ما قال : ﴿ فَإِذَا أَقْبَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ ﴾ وهو الموقف الذي يقفون عنده حتى تغيب الشمس ثم يقبضون منه ﴿ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْجَرِ الْعَرَبِيِّ ﴾ قال : وهي خيال التي يقفون - المزدلفة - ﴿ وَالذِّكْرُوهَ كَمَا هَدَاكُمْ ﴾ قال : ليس هذا بعلم ، هذا لأهل البلد كانوا يقبضون من حنم ويقبضون من عرفات . فأبى الله أنه ذلك فأنزل : ﴿ ثُمَّ أَلْبَسْتُمْ مِنْ حَيْثُ أَهَافِ النَّاسِ ﴾ إل مناسكتكم . قال : وكانوا إذا فرغوا من حجهم تفاخروا بالأبواء ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ

الصغير ، ويسكر فيه الكبير ﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ ( الحج : ٢ ) ثم بكى وبكى المسلمون حوله .

### خطبة له رضى الله عنه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أخرج ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن يحيى بن يعمر أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه خطب الناس ، نحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : ( أيها الناس ، إنما هلك من كان قبلكم بركوبهم المعاصي ، ولم ينههم الربانيون والأحبار ، أنزل الله بهم العقوبات ، ألا فَمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ قبل أن ينزل بكم الذي نزل بهم ، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقاً ، ولا يُقَرَّبُ أجلاً ، إن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطر المطر إلى كل نفس بما قدر الله لها من زيادة أو نقصان في أهل أو مال أو نفس ، فإذا أصاب أحدكم النقصان في أهل أو مال أو نفس ورأى لغيره غيره ( أى غير النقصان ) فلا يكون ذلك له فنة ، فإن المرء المسلم ما لم يُعَشَّ دناءة ، يُظهر تحشعاً لها إذا ذُكرت ، ويُعمرى به لغام الناس كالياسر<sup>(١)</sup> والفاالج<sup>(٢)</sup> ، الذى ينتظر أول فوزة من قداحه توجب له المَعْتَمَ وتُدفع عنه المَعْرَمَ ، فكذلك المرء المسلم البرىء من الخيانة إنما ينتظر إحدى الحسنين إذا ما دعا الله : فما عند الله هو خير له ، وإما أن يرزقه الله مالاً ، فإذا هو ذو أهل ومال . الحرت حرقان : المال والبنون حرت الدنيا ، والعمل الصالح حرت الآخرة ، وقد يجمعهما الله لأقوام .

قال سفيان بن عيينة : ومن يُحسن أن يتكلم بهذا الكلام إلا على بن أبي طالب .

(١) الياسر : المقامر .

(٢) الفالج : الغالب في القمار .

آباءكم أو أشد ذكراً فمن الناس من يقول ربنا آتينا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق . ومنهم من يقول ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وبقينا عذاب النار ﴿ قال : يعملون في دنياهم لآخرتهم ودينهم ، قال : لم قرأ حتى بلغ ﴿ واذكروا الله في أيام معدودات ﴾ قال : وهي أيام التشريق ، فذكر الله فيهن بتسبيح وتحميد ومهلل وتكبير وتمجيد ، قال : لم ذكر مهل الناس ، قال : مهل أهل المدينة من ذى الحليفة ، ومهل أهل العراق من العقيق ، ومهل أهل نجد وأهل الطائف من قرين ، وأهل اليمن من يلملم . قال : لم دعا على كفرة أهل الكتاب فقال : اللهم عذب كفرة أهل الكتاب الذين يمحذون بآياتك ، ويكذبون رسلك ، ويصدون عن سبيلك ، اللهم عذبهم ، واجعل قلوبهم قلوب نساء فواجر - في دعاء كثير ، ثم قال : إن ههنا رجالاً قد أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم ، يفتنون بالمتعة بأن يقدم الرجل من خراسان مهلاً بالحج ، حتى إذا قديم قالوا : أجل من حجك بعمرة ، ثم أهل بالحج من ههنا ، والله ما كانت المتعة إلا محصر . ثم لبى ولبى الناس ، فما رأيته يوماً قط كان أكثر باكياً من يومئذ .

## ٦ - عبد الله بن مسعود

### خطبة جامعة له رضى الله عنه

أخرج أبو نعيم في الحلية (١) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « إن أصدق الحديث كتاب الله عز وجل ، وأوثق العرى كلمة التقوى ، وخير الجمل مئة إبراهيم ، وأحسن السنن سنة محمد ﷺ ، وخير الهدى هدى الأنبياء ، وأشرف الحديث ذكر الله ، وخير القصص القرآن ، وخير الأمور عواقبها ، وشر الأمور محدثاتها ، وما قل وكفى خير مما كثر وألحى ، ونفس تنجبها خير من إماراة لا تحصيها ، وشر العذيلة حين يحضر الموت ، وشر الندامة ندامة القيامة ،

(١) حلية الأولياء ( ١ / ١٣٨ ) .

وشر الضلالة الضلالة بعد الهدى ، وخير الغنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى . وخير ما ألقى في القلب اليقين ، والرؤب من الكفر ، وشر العمى عمى القلب . والحمر جماع كل إثم ، والنساء جباله الشيطان ، والشباب شعبة من الجنون . والتوحم من عمل الجاهلية ، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا ذئباً ولا يذكر الله إلا هجرأ ، وأعظم الخطايا الكذب ، وسباب مؤمن فسوق ، وقناله كفر ، وحرمة ماله كحرمة دمه ، ومن يغف الله عنه ، ومن يكظم الغيظ بأجره الله ، ومن يغفر يغفر الله له ، ومن يصبر على الرزية يعقبه الله ، وشر المكاس كسب الربا ، وشر المأكل مال اليتيم ، والسعيد من وعظ بغيره والشقى من شقى في بطن أمه ، وإنما يكفى أحدكم ما قنعت به نفسه ، وإنما يصير إلى أربعة أدرع والأمر إلى آخره ، وملاك العمل خواتمه ، وشر الروايا روايا الكذب ، وأشرف الموت قتل الشهداء ، ومن يعرف البلاء يصبر عليه ، ومن لا يعرفه ينكر . ومن يستكر يضعه ، ومن يتولى الدنيا تعجز عنه ، ومن يضع الشيطان يعصى الله ، ومن يعصى الله يعذبه . اهـ .

اللهم علمنا ما ينفعنا ، والفعل بما علمتنا ، وزدنا علماً .

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها . اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عدى سيئ الأخلاق لا يصرف عنا سيئها إلا أنت . لبيك وسعديك وخير كله في يديك والشر ليس إليك ، والمهدي من هديت ، أنا بك وإليك ، لا متجا ولا منجاست إلا إليك ، تباركت وتعاليت ، أستغفرك وأتوب إليك .

عبد الحميد كشك